



اللولؤية

شرح الأربعين النووية

للإمام

أبي زكريا يحيى بن شرف النووي



لأبي جعفر محمد بن يوسف أهلي



بسم الله الرحمن الرحيم

اللؤلؤية شرح الأربعين النووية

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلوات وأتم التسليم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن هذا الكتاب هو شرح لمتن الأربعين النووية مع زيادات ابن رجب الحنبلي رحمهما الله تعالى، وقد توسّطت في الشرح حتى يستوعب الطالب معنى الحديث الإجمالي، وما يتعلق به من مسائل علمية وعملية.

وكان إعدادي لهذا الشرح من عدة شروح وهي:

١. شرح الإمام النووي - رحمه الله تعالى -.
 ٢. شرح ابن دقيق العيد - رحمه الله تعالى - مع ما تُكلم في نسبة الشرح إليه.
 ٣. إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لابن رجب - رحمه الله تعالى -، هذبه سليم الهلالي.
 ٤. المعين على تفهم الأربعين لابن الملّقن - رحمه الله تعالى -.
 ٥. شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله تعالى -.
 ٦. شرح الشيخ صالح العصيمي - حفظه الله ورعاه - في زيادات ابن رجب.
- وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يخلص نيتي، ويكتب لهذا الشرح الوجيز القبول، فإنه هو الولي والقادر على ذلك.
- وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

حرر في يوم الاثنين تاريخ

٣ رجب ١٤٣٤ هـ / ١٣ مايو ٢٠١٢ م

أبو جعفر محمد بن يوسف أهلي

أصل الأربعين

وأصل هذه الأحاديث في اختيارها على أنها جوامع كلم تدور عليها أمور الدين، فمنها ما يتصل بالإخلاص، ومنها ما هو في بيان الإسلام وأركانه، والإيمان وأركانه، ومنها ما هو في بيان الحلال والحرام، ومنها ما هو في بيان الآداب العامة، ومنها ما هو في بيان بعض صفات الله -جل وعلا- وهكذا في موضوعات الشريعة جميعاً.

لقد أملى الحافظ الإمام أبو عمرو بن الصلاح مجلساً سماه: "الأحاديث الكلية" جمع فيه الأحاديث الجوامع التي يقال: إن مدار الدين عليها، وما كان في معناها من الكلمات الجامعة الوجيزة، فاشتمل مجلسه هذا على ستة وعشرين حديثاً، ثم إن الإمام النووي أخذ هذه الأحاديث التي أملاها ابن الصلاح، وزاد عليها تمام اثنين وأربعين حديثاً، وسمى كتابه "الأربعين" واشتهرت هذه الأربعون التي جمعها وكثر حفظها، ونفع الله ببركة نية جامعها وحسن قصده رحمه الله تعالى، ثم أتى من بعده الحافظ ابن رجب الحنبلي وضم إلى ذلك كله أحاديث أخر من جوامع الكلم الجامعة لأنواع العلوم والحكم حتى تكمل عدة الأحاديث كلها خمسين حديثاً.

* لماذا اشتهرت بـ "الأربعين النووية" مع أن عدتها اثنان وأربعون؟

الجواب: إن العرب يحذفون الكسر في الأعداد فيقولون أربعون وإن زاد واحداً أو اثنين أو نقص واحداً أو اثنين.

* وقد صنف الإمام النووي رحمه الله تعالى أربعين حديثاً لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء" وفي رواية: "بعثه الله فقيهاً عالماً" وفي رواية: "وكنت له يوم القيامة شافعاً وشهيداً" وفي رواية: "قيل له: ادخل من أي أبواب الجنة شئت" واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه.

متن الأربعين النووية من الأحاديث الصحيحة النبوية

الحديث الأول

"إنما الأعمال بالنيات "

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّمَا ^(٢) الْأَعْمَالُ ^(٣) بِالنِّيَّاتِ ^(٤)،

^(١) والحديث لم يروه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عمر رضي الله عنه، فهذا الحديث فرد غريب باعتبار، مشهور باعتبار آخر، وليس بمتواتر كما يظن البعض، فإنه لا يصح إلا عن عمر ولا عنه إلا من جهة محمد بن إبراهيم التيمي، ولا عنه إلا من جهة يحيى بن سعيد الأنصاري، وعنه اشتهر. * قال الشافعي رحمه الله تعالى: هذا الحديث ثلث العلم ويدخل فيه سبعين باباً من الفقه. وسببه ثلث العلم كما قال البيهقي: أن كسب العبد بقلبه ولسانه وجوارحه، فالنية أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها. * قال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث: حديث عمر رضي الله عنه: "إنما الأعمال بالنيات"، وحديث عائشة رضي الله عنها: "من أحدث في أمرنا هذا.."، وحديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما: "إن الحلال بين وإن الحرام بين..".

* واعلم أن الإخلاص قد تعرض له آفة العجب، فمن أعجب بعمله حبط عمله، وكذلك متى استكبر حبط عمله.

^(٢) تفيد الحصر.

^(٣) جمع عمل، ويشمل أعمال القلوب وأعمال النطق وأعمال الجوارح، وتقديره: الأعمال صحيحة أو معتبرة أو مقبولة، وعلى هذا فالأعمال إنما أريد بها الأعمال الشرعية المفتقرة إلى النية، فأما ما لا يفتقر إلى نية كالعادات فلا يحتاج شيء من ذلك إلى نية.

ولا إخلاص في محرم ولا مكروه، كمن ينظر إلى ما لا يحل له النظر إليه ويزعم أنه ينظر إليه ليتفكر في صنع الله كالنظر إلى المرأة الحسناء والأمرد الحسن.

^(٤) النية لغة: القصد، واصطلاحاً: قصد الشيء مقترناً بفعله.

شرعت النية لتمييز العبادات عن العادات، وتمييز رتب العبادات عن بعضها البعض، وتمييز المقصود بالعمل، وهل هو لله وحده لا شريك له أم لله وغيره.

قال الفضيل: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً، لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً، لم يُقبل، حتى يكون خالصاً صواباً.

وَأَيْمًا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى^(١)، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ^(٢) إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ^(٣)، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا^(٤) فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ^(٥)."

رَوَاهُ إِمَامَا الْمُحَدِّثِينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ بَرْدِزْبَهَ الْبُخَارِيُّ الْجُعْفِيُّ [رقم: ١]^(٦)، وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمِ الْقَشِيرِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ [رقم: ١٩٠٧]^(٧) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي "صَحِيحَيْهِمَا" اللَّذَيْنِ هُمَا أَصَحُّ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ.

^(١) إخبار أنه لا يحصل له من عمله إلا ما نواه، فإن نوى خيراً حصل له خير، وإن نوى شراً حصل له شر، وفيه دليل على أنه تجوز النيابة في العبادات إلا ما استثني.

وليس هذا تكريراً محضاً للجملة الأولى فإن الجملة الأولى دلت على أن صلاح العمل وفساده بحسب النية المقتضية لإيجاده، والجملة الثانية دلت على أن ثواب العامل على عمله بحسب نيته الصالحة وأن عقابه عليه بحسب نيته الفاسدة.

^(٢) الهجرة لغة: الترك، شرعاً: مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام خوف الفتنة وطلب إقامة الدين. وفي الحقيقة: مفارقة ما يكره الله إلى ما يحب، والهجرة باقية إلى يوم القيامة، وحديث "لا هجرة بعد الفتح" إما دل على الكمال، وإما على الهجرة من مكة إذا صارت دار إسلام. * هل الهجرة واجبة أم مستحبة؟

قال النووي: الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام: فلا يحل للمسلم الإقامة بدار الكفر، قال الماوردي: فإن صار له بها أهل وعشيرة وأمكنه إظهار دينه لم يجز له أن يهاجر، لأن المكان الذي هو فيه صار دار إسلام. فالخلاصة أن فيه تفصيلاً، إذا كان الإنسان يستطيع أن يظهر دينه وأن يعلنه ولا يجد من يمنعه في ذلك، فالهجرة مستحبة، وإن كان لا يستطيع فالهجرة واجبة وهذا الضابط للمستحب والواجب وهذا يكون في البلاد الكافرة.

^(٣) أي: حكماً وشرعاً أو مقبولة.

^(٤) وقد اشتهر أن قصة مهاجر أم قيس هي كانت سبب قول النبي ﷺ: "ومن كانت هجرته..." ولم يثبت لذلك أصلاً بإسناد صحيح.

^(٥) تحقير لما طلبه من أمر الدنيا وما هاجر إليه، واستهانة به حيث لم يذكر بلفظه بل يكنى عنه بقوله: "إلى ما هاجر إليه".

^(٦) وقد رواه في سبعة مواضع في الصحيح.

^(٧) وقد رواه في موضع واحد في الصحيح.

الحديث الثاني

"مجيء جبريل ليعلم المسلمين أمر دينهم" (١)

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ (٢)، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ (٣)، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ (٤)، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ (٥). فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ (٦)! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ (٧). قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ

(١) هذا حديث عظيم متفق على عظمه، فهو جامع لأحكام الشريعة علمًا ومعرفةً وأدبًا. قال القرطبي: هذا الحديث أم السنة، كما سميت الفاتحة بأم القرآن.

هذا الحديث هو من أفراد مسلم ولم يخرج به البخاري.

(٢) أي: أنه شاب.

(٣) وهذا جلوس المتعلم بين يدي شيخه للتعلم، وإنما فعل ذلك جبريل للتنبيه على ما ينبغي للسائل من قوة النفس عند السؤال وعدم المبالاة بما يقطع عليه خاطره — وإن كان المسؤول ممن يحترمه ويهابه — وعلى ما ينبغي للمسؤول من التواضع والصفح عن السائل، وإن تعدى ما ينبغي من الاحترام والأدب.

(٤) الضمير في كفيه للرجل، وفي فخذه يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَيْضًا، وَأَنْ يَكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وهو الأشبه، وفعل ذلك للاستئناس باعتبار ما بينهما من الأنس في الأصل حين يأتيه الوحي، وقد جاء مصرحًا بهذا في النسائي: "حتى وضع يده على ركبتي النبي ﷺ".

(٥) وقد فسر النبي ﷺ بأعمال الجوارح الظاهرة من القول والعمل.

والإسلام: هو الاستسلام لله والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك وأعوانه. وفي هذا تنبيه على أن جميع الواجبات الظاهرة داخلية في مسمى الإسلام.

(٦) ووجه العجب أن السائل عادة يكون جاهلاً، والمصدق يكون عالمًا فكيف يجتمع هذا وهذا.

(٧) الإيمان لغة: التصديق، شرعًا: هو قول وعمل واعتقاد.

* الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، وأما الإيمان فقد فسر النبي ﷺ في هذا الحديث بالاعتقادات الباطنة.

وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ^(١). قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ^(٢)، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ^(٣). قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ^(٤). قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تُلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا^(٥)، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ^(٦) رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ^(٧). ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا^(٨)، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

(١) هو بذل الخير، والإحسان في حق الخالق: بأن تبني عبادتك على الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ وكلمما كنت أخلص وأتبع كنت أحسن، وأما الإحسان للخلق: فهو بذل الخير لهم من مال أو جاه أو غير ذلك، ومراقبة العبد تكون على حالين ذكرهما في الحديث.

(٢) يعبد الله عبادة طلب وشوق وحب ورغب فهو يعبد كأنه يراه مستحضراً قربه وعظمته وأنه بين يديه وذلك يوجب الخشية والخوف والهبة والتعظيم، فهذه الحالة الأولى.

(٣) وأما الحال الثانية: فهي مرتبة الرهب: أن تعبد الله وهو يراك فاحذره، فإن الله مطلع على شرك وعلايتك وباطنك وظاهره.

(٤) أي: كلانا سواء في عدم العلم به من وقوعها، يعني إذا كنت تجهلها فأنا أجهلها ولا أستطيع أن أخبرك به.

(٥) أنه إخبار عن كثرة السراري وأولادهن فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها لأن مال الإنسان صائر إلى ولده، فالإماء يلدن من يكونوا أسياداً ومالكين، فهي كانت مملوكة في الأول، وهو كناية عن تغير الحال بسرعة، فهذه إشارة إلى فتح البلاد وكثرة جلب الرقيق حتى تكثر السراري وتكثر أولادهن، فتكون الأمة رقيقة لسيدها، وأولادهن منها بمنزلة ولد السيد بمنزلة السيد فيصير ولد الأمة بمنزلة ربا وسيدها، وفي رواية: "أن تلد الأمة ربا".

(٦) هم الفقراء.

(٧) المراد أن أراذل الناس يصيرون أهل ثروة ظاهرة وأن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة يرتقون في البنيان وتبسط لهم الدنيا حتى يتباهوا في البنيان.

والقصد من الحديث: الإخبار عن تبديل الحال بأن يستولي أهل البادية الذين هذه صفاتهم على أهل الحاضرة، ويتملكوا بالقهر والغلبة، فتكثر أموالهم ويتوسع في الحطام آمالهم، فتتصرف همهم إلى تشييد المباني وهدم الدين.

فرع: إنه ليس كل ما يخبر به الشارع بكونه من علامات الساعة يكون محرماً أو مذموماً، فإن تطاول الرعاء في البنيان وتيسير المال وكون الخمسين امرأة لمن قيم واحد ليس بحرام وإنما هذه علامات والعلامة بالخير وغيره.

(٨) ملياً من المملوك: وهو الليل والنهار، أي: زمناً طويلاً، والحاصل أن عمر رضي الله عنه لم يحضر قوله هذا بل كان قام فأخبره بعد ثلاث.

قَالَ: فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ^(١) أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ^(٢) ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: ٨] .

(١) جبريل اسم أعجمي سرياني معناه: عبد الله.

(٢) فالدين: الإسلام والإيمان والإحسان، فكل محسن مؤمن ومسلم، وكل مؤمن مسلم، وليس العكس. فرع: ولعله إنما اقتصر في الحديث على أمارتين منها تحذيراً للحاضرين وغيرهم منها، أعني بكثرة اتخاذ السراري وبيعهم، والتطاول في البنیان لاقتضاء الحال، ذلك إذ لعلمهم كانوا يتعاطون شيئاً من ذلك فزجرهم عنه. فرع: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: من الخطأ قول بعضهم: إنه إذا جاءنا الأمر من الله ورسوله ﷺ بدأ يتساءل فيقول: هل الأمر للوجوب أم للاستحباب؟ كما يقوله كثير من الناس اليوم، وهذا السؤال يجب طرحه وأن لا يورد، لأن الصحابة رضي الله عنهم إذا أمرهم النبي ﷺ لم يكونوا يقولون يا رسول الله: هل الأمر للوجوب أو الأمر للاستحباب أو غير ذلك؟ بل كانوا يمتثلون ويصدقون بدون أن يسألوا. وفي حالة ما إذا وقع الإنسان في مسألة وخالف الأمر، فهنا له الحق أن يسأل هل هو للوجوب أو لغير الوجوب، لأنه لو كان للوجوب وجب عليه أن يتوب منه لأنه خالف وإذا كان لغير الوجوب فأمره سهل.

فرع: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: فيه جواز جلوس الأصحاب إلى شيخهم ومن يفوقهم، لكن هذا بشرط: إذا لم يكن فيه إضاعة وقت على الشيخ ومن يفوقه علمًا، لأن بعض الناس يأتي إلى من يحافظ على وقته ويستغله في العلم، فيجلس عنده ويطيل الحديث، فالحافظ على وقته يتمل ويوري مثلاً بقصر الليل أو ما أشبه ذلك ولكن الآخر لشدة محبته له والتحدث إليه يبقى.

الحديث الثالث

"بني الإسلام على خمس"

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ^(٢): شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ^(٣) وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ ^(٤)".

^(١) هو أحد العبادلة الأربعة وهم: عبدالله بن عمر، عبدالله بن عمرو بن العاص، عبدالله بن عباس، عبدالله بن الزبير.
^(٢) أي: على خمس دعائم، أي: فمن أتى بهذه الخمس فقد تم إسلامه، كما أن البيت يتم بأركانه كذلك الإسلام يتم بأركانه وهي خمس.

^(٣) وفي رواية: "على أن يوحد الله"، وفي أخرى: "على أن يُعبد الله ويُكفر بما دونه"، والظاهر أنها من باب الرواية بالمعنى.

^(٤) في هذا الحديث إشكال وهو تقديم الحج على الصوم، وقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً قال: "الحج وصيام رمضان؟" فقال ابن عمر رضي الله عنهما: لا، صيام رمضان والحج، هكذا سمعته من رسول الله ﷺ. فالجواب أنه: يتأول بنسيان ابن عمر الرواية الأخرى عند الإنكار، أو كان لا يرى رواية الحديث بالمعنى أو أن الواو للترتيب، أي: أن الصوم شرع قبل الحج.

فرع: لم يذكر الجهاد في حديث ابن عمر هذا، مع أن الجهاد من أفضل الأعمال؟
ذكر البخاري في صحيحه أن رجلاً قال لابن عمر: ما حملك على أن تحج وتعتمر عاماً وتترك الجهاد؟ وفي رواية: "أن رجلاً قال لابن عمر: ألا تغزوا؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الإسلام بني على خمس... وهو دال على أن ابن عمر كان لا يرى فرضه إما مطلقاً كما نقل عنه أو في ذلك الوقت. وفي رواية قال: "الجهاد حسن، ولكن هكذا حدثنا رسول الله ﷺ".

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: "إن رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد".

وذروة سنامه أعلى شيء فيه، ولكنه ليس من دعائمه وأركانه التي بني عليها، وذلك من وجهين:

١. أن الجهاد فرض كفاية عند جمهور العلماء، وليس بفرض عين بخلاف هذه الأركان.
٢. أن الجهاد لا يستمر فعله إلى آخر الدهر، بل إذا نزل عيسى عليه السلام ولم يبق حينئذ ملة إلا ملة الإسلام، فحينئذ تضع الحرب أوزارها، ويستغنى عن الجهاد، بخلاف هذه الأركان، فإنها واجبة على المؤمنين إلى أن يأتي أمر الله وهم على ذلك.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: ٨]، وَمُسْلِمٌ [رقم: ١٦].

فرع: العبادات: إما بدنية كالصلاة، أو مالية كالزكاة، أو مالية بدنية كالحج، وأما الصوم فيجوز أن يكون من ذلك لدخول التكفير بالمال فيه.

فرع: من ترك ما عدا الشهادتين لا يخرج به عن الإسلام، بل عن كماله، اللهم إلا إذا تركها جاحداً لوجوبها، وتارك الصلاة كسلاً لا يكفر على الأصح عندنا ويقتل بالإصرار حداً.

الحديث الرابع

"إن أحدكم يجمع في بطن أمه"

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ الصَّادِقُ ^(١) الْمَصْدُوقُ ^(٢) -: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ^(٣) أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً ^(٤)، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً ^(٥)، مِثْلَ ذَلِكَ ^(٦)، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً ^(٧)، مِثْلَ ذَلِكَ ^(٨)، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ^(٩)، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكِتَابِ رِزْقِهِ ^(١٠)، وَأَجَلِهِ ^(١١)، وَعَمَلِهِ ^(١٢)، وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ؛ فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ^(١٣)، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ^(١٤)"

(١) هو الآتي بالصدق والصادق فيما أخبر.

(٢) وهو المخبر بالصدق وأن الله صدّقه فيما وعده به.

(٣) ورد معنى الجمع مرفوعاً عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه إلى النبي ﷺ أنه قال: "إن الله تعالى إذا أراد خلق عبد، فجامع الرجل المرأة، طار مائه في كل عرق وعضو منها، فإذا كان يوم السابع جمعه الله تعالى، ثم أحضره في كل عرق له دون آدم ﷺ (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ) ^(٨)". إسناده حسن رواه الطبراني وابن منده في كتاب التوحيد.

(٤) النطفة: هي قطرة من المني.

(٥) العلقة: هي قطعة الدم الغليظ قبل أن تبيس.

(٦) أي: أربعين يوماً.

(٧) المضغة: هي قطعة لحم بقدر ما يعضغه الإنسان.

(٨) أي: أربعين يوماً، ففي هذا الحديث على أنه يتقلب في مائة وعشرين يوماً في ثلاثة أطوار، في كل أربعين يوماً منها يكون في طور، ثم بعد مائة وعشرين يوماً ينفخ فيه الملك الروح ويكتب له هذه الأربع كلمات.

(٩) الروح: ما يحيا به جسم الإنسان.

(١٠) رزق يقوم به البدن، ورزق يقوم به الدين وكلاهما مراد.

(١١) مدة بقائه في الدنيا.

(١٢) أي: ما يكتسبه من الأعمال القولية والفعلية والقلبية.

(١٣) هذه الجملة: "فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ" قيل إنها مدرجة من كلام ابن مسعود رضي الله عنه وليست من كلام النبي ﷺ، وإذا اختلف المحدثون في جملة من الحديث فهي مدرجة أم من أصل الحديث؟ فالأصل أنها من أصل الحديث، فلا يقبل الإدراج إلا بدليل لا يمكن أن يجمع به بين الأصل والإدراج.

ذِرَاعٌ^(١) فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ^(٢) فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا^(٣). وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْحَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا^(٤)".

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: ٣٢٠٨]، وَمُسْلِمٌ [رقم: ٢٦٤٣].

(١) المراد قطعة من الزمان في آخر عمره.

(٢) أي: الذي سبق في العلم، الذي سبق في اللوح المحفوظ، أو الذي سبق في بطن الأم مستنداً إلى سابق علمه القدام فيه، وفي بعض روايات هذا الحديث: "وإنما الأعمال بالخواتيم".

(٣) فيدع العمل الأول الذي كان يعمل، وذلك لوجود دسياسة في قلبه هَوَتْ به إلى الهاوية، ويقال هذا لئلا يظن بالله ظن السوء، فوالله ما من أحد يُقبل على الله بصدق وإخلاص ويعمل بعمل أهل الجنة إلا لم يخذله الله أبداً، فالله أكرم من عبده لكن لا بد من بلاء في القلب. والذي يؤيد ذلك الرواية الثانية قال: "إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة"، وقوله: "فيما يبدو للناس" إشارة إلى أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك، وأن خاتمة السوء تكون بسبب دسياسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيء أو نحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء خاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير، فتتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره فتوجب له حسن الخاتمة.

(٤) في هذا الحديث إثبات القدر كما هو مذهب أهل السنة وأن جميع الوقعات بقضاء الله وقدره خيرها وشرها ونفعها وضرها.

فرع: هل يجوز إلقاء النطفة أم لا يجوز؟

ذكر الفقهاء أنه يجوز إلقاؤها بدواء مباح لأنه لم يتكون إنساناً، وقال آخرون: لا يجوز وهذا أقرب إلى الصواب أنه حرام لكنه ليس كتحريم ما بعده من بلوغه أربعة أشهر، فإذا نفخت فيه الروح فلا يجوز إسقاطه بحال من الأحوال.

فرع: هذه الكتابة هل هي في صحيفة أو تكتب على جبين الجنين؟

هناك آثار تدل على أنها تكتب على جبين الجنين، وآثار على أنها تكتب في صحيفة، والجمع بينهما سهل إذ يمكن أن تكتب في الصحيفة ويأخذها الملك إلى ما شاء الله ويمكن أن تكتب على جبين الإنسان.

الحديث الخامس

"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(١)، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَنْ أَحْدَثَ^(٢) فِي أَمْرِنَا^(٣) هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ^(٤)، فَهُوَ رَدٌّ^(٥)". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: ٢٦٩٧]، وَمُسْلِمٌ [رقم: ١٧١٨].
وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا^(٦) لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ^(٧)".

(١) كُنيت بآبِنِ أَخْتِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ، وَقَوْلُهُمْ فِي عَائِشَةَ وَغَيْرِهَا مِنْ أَزْوَاجِهِ: أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، أَيْ فِي الْإِحْتِرَامِ وَالتَّقْدِيرِ لَا فِي الْخُلُوةِ وَالْمَسَافَرَةِ وَحَرَمَةِ نِكَاحِ بَنَاتِهِمْ.

* هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، كما أن حديث "إنما الأعمال بالنيات" ميزان للأعمال في باطنها فهو ميزان للأعمال في ظاهرها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله ﷺ فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله ﷺ فليس من الدين في شيء.

(٢) أي: أوجد شيئاً لم يكن، والإحداث هو الإتيان بالأمر الجديد المخترع.

(٣) أي: في ديننا وشريعتنا.

(٤) أي: ما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ.

(٥) فإنه مردود عليه حتى وإن صدر عن إخلاص.

فالمعنى إذاً: أن من كان عمله خارجاً عن الشرع ليس متقيداً بالشرع فهو مردود.

وقد اتفق العلماء أن العبادة لا تصح إلا بشرطين اثنين: الإخلاص والمتابعة.

* ويشترط للبدعة الشرعية قيوداً ثلاثة تختص بها:

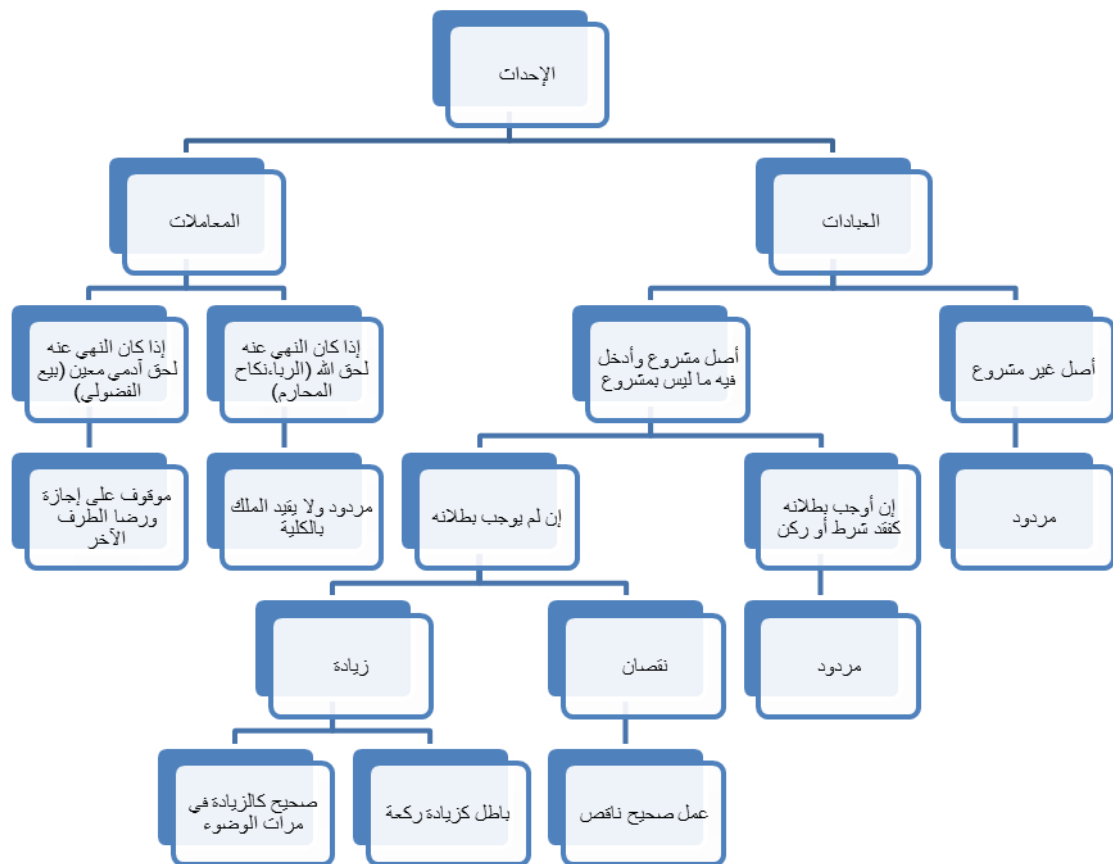
١. الإحداث: "من أحدث"، ٢. أن يضاف هذا الإحداث إلى الدين: "في أمرنا هذا"، ٣. لا يستند إلى أصل شرعي: "ما ليس منه".

فالبدعة: هي ما أحدث في الدين من غير دليل.

- والأصل في العبادات المنع حتى يقوم الدليل على مشروعيتها، وأما المعاملات فالأصل فيها الحل.

(٦) هذه الرواية أعم من رواية: "من أحدث" ومعنى هذه الرواية: أن من عمل أي عمل سواء كان عبادة أو معاملة أو غير ذلك ليس عليه أمر الله ورسوله ﷺ فإنه مردود عليه.

(٧) ورد في بعض ألفاظه: "من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو رد".



الحديث السادس

"إنّ الحلال بين وإنّ الحرام بين"

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ الْحَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ" ^(٢)، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ ^(٣)

^(١) قد روي هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث علي، والحسن، وابن مسعود، وجابر بن عبد الله، وابن عمر، وابن عباس وعمار، وحديث النعمان أصح أحاديث الباب، ولا تخلو أسانيد غيره من مقال.

- هذا الحديث مجمع على عظم موقعه وكثرة فوائده، وأنه أحد الأحاديث التي يدور عليها الإسلام، فإنه مشتمل على الحلال والحرام والمتشابه، وما يصلح القلوب وما يفسدها، وتتعلق أعمال الجوارح بها فيستلزم إذاً معرفة تفاصيل أحكام الشريعة كلها أصولها وفروعها، وهو أصل أيضاً في الورع.

^(٢) الحلال: ما علم أصله أو ما لم يتبين حرمة، والحرام: الممنوع منه شرعاً، والمراد أن نوعهما بين لا يخفى، ثابت بنصوص الكتاب والسنة، يعرفه كل أحد ولا يحتاج إلى تعداده.

^(٣) المشتبهات: ما تردد بينهما وقامت فيه شبهة الحل والحرمة، لا يعرف هل هو حلال أم حرام، وسبب الاشتباه فيها إما:

١. الاشتباه في الدليل (هل صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أم لم يصح، هل يدل على هذا الحكم أم لا يدل).
٢. الاشتباه في انطباق الدليل على المسألة وهو الاشتباه في محل الحكم.
- اختلف العلماء في معنى المشتبهات على أقوال:
 ١. أنها حرام، أو ما في حيز الحرام.
 ٢. أنها حلال وأن تركه ورع، وهو الصواب.
 ٣. أنها غيرهما فيتوقف وهو من باب الورع.
- قسم ابن المنذر الشبهة أقساماً:
 ١. شيء يعلمه المرء حراماً ثم يشك فيه، هل هو باق أم لا، فلا يحل الإقدام عليه إلا بيقين، كشاتين ذبح أحدهما مجوسي وشككنا في عينها.
 ٢. أن يكون الشيء حلالاً فيشك في تحريمه فلا أثر في الشك، كالزوجة يشك في طلاقها، والأمة يشك في عتقها، والحدث يشك فيه بعد تيقن الطهارة.
 ٣. شيء يشك في حرمة أو حله على السواء فالأولى التنزه والورع والابتعاد.

لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ^(١)، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ^(٢) فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ^(٣)، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ^(٤)، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى^(٥) يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ^(٦)، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى^(٧)، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ^(٨)، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً^(٩) إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ^(١٠)،

(١) فدل على أن من الناس من يعلمها وإنما هي مشتبهة على من لم يعلمها، وليست مشتبهة في نفس الأمر، وأن هذه الشبهات لا يعلمهن كثير من الناس ويعلمهن كثير، ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: لا يعلمهن أكثر الناس، وسبب عدم علمهم: إما لقلّة علمهم، وإما لقلّة فهمهم، وإما لتقصيرهم في المعرفة. إذا فهي ليست واضحة الحل ولا الحرمة، وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب ونحو ذلك فإن لم يظهر فالأصح أنه لا يحكم بشيء فيه.

(٢) أي: تجنبها.

(٣) أي: طلب البراءة من النقص وحصلها له، لدينه: بينه وبين الله، وعرضه: بينه وبين الناس، فإنه إن لم يتركها تناول عليه السفهاء بالغيبة ونسبوه إلى أكل الحرام فيكون مدعاة لوقوعه في الإثم.

(٤) يحتمل أمرين:

١. أن يقع في الحرام وهو يظن أنه ليس بحرام.

٢. أن يكون المعنى قد قارب أن يقع في الحرام فهو ذريعة إلى الوقوع في الحرام.

(٥) الحمى: الممنوع بمعنى المحمي. والحمى ما يحميها من الغير من الحشيش في الأرض المباحة.

(٦) فمن رعى حول الحمى يقرب أن تقع فيه ماشيته فيرعى فيما حماه الغير، بخلاف ما إذا رعى إبله بعيداً عن الحمى.

(٧) حمى الملك: ما حجزه لخليله ونحوها من آلات مصالحه، فكل ملك له حمى يحميها عن الناس ويمنعهم من دخولها فمن خالف ودخله عاقبه.

(٨) حماه: محارمه التي حرّمها كالجرائم على النفس والمال والعرض وترك الأمور وفعل المنهيات.

(٩) قطعة لحم.

(١٠) فيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه للمحرمات وابتدائه الشبهات بحسب صلاح حركة قلبه: فإن كان قلبه سليماً ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله وخشية الله، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها وتوقّي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات وإن كان القلب فاسداً، قد استولى عليه اتباع الهوى وطلب ما يحبه ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعث إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب.

أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ^(١)."

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: ٥٢]، وَمُسْلِمٌ [رقم: ١٥٩٩].

(١) القلب السليم هو السالم من الآفات والمكروهات كلها وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وخشيته ما يباعد منه.

فرع: لا ورع في ترك المباح عملاً بقوله: "إن الحلال بين وإن الحرام بين"، والقاعدة تقول: أنه إذا وجد احتمال الاشتباه فهنا إن قوي قوي تركه، وإن ضعف ضعف تركه، ومتى لم يوجد احتمال أصلاً فإن تركه من التنطع في الدين المنهي عنه.

فرع: هل العقل في القلب أم في الدماغ؟

العقل في القلب وهو مذهب الجمهور خلافاً لأبي حنيفة حيث قال: إنه في الدماغ، ودليل الجمهور هو قوله تعالى:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ

تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحج: ٤٦، أما تعلقه بالقلب فهذه من الأمور الغيبية.

فرع: ما هو الورع؟

ترك قطعة من الحلال خوف واقعة الحرام.

فرع: في الحديث رد على العصاة الذين إذا نُهوا عن المعاصي قالوا: التقوى ها هنا وضرب أحدهم على صدره،

والجواب: هو أنه لو صلح ما هنا أي القلب لصلح ما هناك أي الجوارح.

الحديث السابع

"الدين النصيحة"

عَنْ أَبِي رُقَيْةَ^(١) تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "الدين النصيحة"^(٣). قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ لِلَّهِ^(٤)، وَلِكِتَابِهِ^(٥)، وَلِرَسُولِهِ^(٦)، وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ^(٧) وَعَامَّتِهِمْ^(٨).

(١) كني بذلك بنت له اسمها رقية لم يولد له غيرها، وهذه كنيته بأنتى والغالب أن الكنية تكون بالذكر، لكن قد يكون بأنتى لا سيما إذا اشتهر، وقد تكون بغير الإنسان كأبي هريرة مثلاً.

(٢) أسلم سنة تسع للهجرة، روى عنه النبي صلى الله عليه وسلم (حديث الجساسة) وهي منقبة شريفة جداً، ويدخل ذلك في رواية الأكابر عن الأصاغر، قيل: ولا يعرف أن الشارع روى عن صحابي غيره، ولم يرو تميم الداري إلا هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) النصيحة: كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له.

- هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام.

- ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة": أي عماد الدين وقوامه: النصيحة، كقوله: "الحج عرفة" أي عماده ومعظمه، ولك أن تقول: الدين محصور فيها فإن من جملتها: طاعة الله ورسوله، والإيمان والعمل بما لا قاه كتاب وسنة وليس وراء ذلك معنى الدين فهي أي النصيحة: تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل.

- وفي بعض ألفاظه "الدين النصيحة" ثلاثاً.

(٤) معنى النصيحة لله: صحة الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته، والإيمان بالله ونفي الشرك.

(٥) الإيمان بأنه كلام الله وتعظيمه وتوقيره والإيمان به والعمل بما فيه.

(٦) تصديقه على الرسالة وما جاء به وطاعته في أمره ونهي، ونصرته.

- وإنما قدم الكتاب على الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الكتاب يبقى والرسول يموت، على أن النصيحة للكتاب وللرسول متلازمان، فإذا نصح لأحدهما نصح للآخر.

(٧) أئمة المسلمين صنفان من الناس:

١. العلماء الربانيون: وتكون نصيحتهم بمحبتهم، ومساعدتهم في بيان الحق، والذب عن أعراضهم والتنبيه على أخطائهم وإرشاد الناس إليهم.

رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٢) [رقم: ٥٥].

٢. الأمراء: وتكون نصيحتهم باعتقاد إمامتهم، ونشر محاسنهم في الرعية، وامتنال ما أمروا به وما نھوا عنه إلا إذا كان في معصية، وستر معاييهم مهما أمكن، والدعاء لهم بالصالح، وعدم الخروج عليهم.
- (١) النصيحة لعامة المسلمين يكون بإرشادهم إلى مصالحهم ومحبتهم وبشاشة الوجه، وإلقاء السلام، والمساعدة.
- (٢) هذا الحديث انفرد بإخراجه مسلم وليس له عنه في صحيحه سواه.

فرع: ما حكم النصيحة لعامة المسلمين؟

فرض كفاية، فإن قيل: ففي صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال: "إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له" وهو يدل على تعليق الوجوب بالاستنصاح لا مطلقاً؟ فجوابه: أنه حمل ذلك على الأمر الديني ككناح امرأة ومعاملة رجل ونحو ذلك، والأول يحمل بعمومه في الأمور الدنيوية التي هي واجبة على كل مسلم.

فرع: إذا نسب إلى أحد من العلماء الربانيين شيء يستنكر فعليك أن تتخذ المراحل الآتية:

١. أن تثبت من نسبته إليه.
 ٢. أن تتأمل هل هذا محل انتقاد أم لا.
 ٣. إذا تبين أنه ليس منتقد فالواجب الذب عنه.
 ٤. إذا تبين لك حسب رأيك أن ما نسب إلى العالم وصحّت نسبته إليه ليس بحق، فالواجب أن تتصل بهذا العالم بأدب ووقار وتقول: سمعت عنك كذا وكذا وأحب أن تبين لي وجه ذلك ولك حق المناقشة بأدب واحترام وتعظيم.
- فرع: لم يرخص النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج على الحكام إلا في حالة واحدة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إلا أن تروا كفرةً بواحاً عندكم فيه من الله برهان" أي: كفرةً لا احتمال فيه واضح بين بدليل قاطع.
- وهناك فرق بين جواز الخروج وبين وجوب الخروج، فإذا توفرت هذه الشروط فهل يجوز لنا الخروج؟
- الجواب: لا نخرج حتى لو رأينا كفرةً بواحاً عندنا فيه من الله برهان، إلا حيث يكون الخروج مصلحة، وليس من المصلحة أن تقوم فئة قليلة سلاحها قليل في وجه دولة بقوتها وسلاحها، لأن هذا يترتب عليه إراقة الدماء واستحلال الحرام دون ارتفاع المحذور الذي انتقدوا به الأمراء.

ثم إنا نقول: ما ميزان الكفر؟

فقد يرى البعض هذا كفرةً والبعض لا يراه كفرةً، ولهذا قيد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "كفرةً بواحاً" ليس فيه احتمال، كما لو رأيته يسجد لصنم، أو سمعته يسب الله أو رسوله أو ما أشبه ذلك.

الحديث الثامن

"أمرت أن أقاتل الناس"

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى^٢ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ^٣؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا^٤ مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ^٥ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ^٦، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى^٧".

^١ والأمر بالمقاتلة يفضي إلى القتل، فيستنبط منه الإقدام على قتله إذا أخل بشيء من ذلك، فالجاحد كافر، والمتكاسل المصّر على الترك يقتل حداً عندنا، ولا يقال إن الحديث في الكافر الأصلي، فإن المسلم أولى.

^٢ حتى: تحتل للتعليل وللغاية، والتعليل بمعنى أن أقاتل ليشهدوا، والغاية: بمعنى أقاتلهم إلى أن يشهدوا وهو الأظهر وفيه معنى الشرط، فكف القتال مشروط بالشهادتين والصلاة والزكاة وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

^٣ أي: يعطوها مستحقيها.

^٤ أي: منعوا: والعصام: هو الخيط الذي يشد به فم القربة، سمي به لمنع الماء من السيلا.

^٥ أي: فلا يحل قتالهم واستباحة دمائهم ولا غنم أموالهم لأنهم دخلوا الإسلام.

^٦ هذا الحديث لم يقل فيه مسلم "إلا بحق الإسلام" وأخرجاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إلا بحق الإسلام: أي القتل بالقصاص والزنا، لكن القاتل والزاني لا يباح مالهما بخلاف الكافر فجاء على طريق التغليب.

^٧ أي: أمر سرائرهم إليه سبحانه، وأما نحن فنحكم بالظاهر فنعاملهم بمقتضى أفعالهم وأقوالهم.

فرع: هذا الحديث نص في قتال مانعي الزكاة.

فرع: فجعل مجرد الإجابة إلى الشهادتين عصمة للنفوس والأموال إلا بحقها ومن حقها الامتناع عن الصلاة والزكاة بعد الدخول في الإسلام كما فهمه الصحابة.

فرع: حكم من ترك سائر أركان الإسلام أن يقاتلوا عليها كما يقاتلون على ترك الصلاة والزكاة، وهذا الكلام في قتال الطائفة الممتنعة عن شيء من هذه الواجبات، وأما قتل الواحد الممتنع عنها فأكثر العلماء على أنه يُقتل الممتنع عن الصلاة، أما قتل الممتنع عن أداء الزكاة والصوم والحج فالجمهور: لا يقتل، وعند أحمد يقتل.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: ٢٥]، وَمُسْلِمٌ [رقم: ٢٢].

فرع: فريضة الجهاد: الجهاد قد يكون فرض كفاية وقد يكون فرض عين، ولا يمكن أن يكون فرض عين على جميع الناس لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِیَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّیَتَفَقَّهُوا﴾ أي: القاعدون ﴿فِي الدِّینِ وَلِیُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَیْهِمْ لَعَلَّهُمْ یَحْذَرُونَ﴾ (١٢٢).
فرع: إن الكفار تباح دماؤهم وأموالهم لقوله صلى الله عليه وسلم: "عصموا مني دماءهم وأموالهم" فيقتلون، أو يؤسرون حسب ما تقتضيه الحال، وتغنم أموالهم.

الحديث التاسع

"ما نهيتكم عنه فاجتنبوه"

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ^(١) عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ" ^(٢)، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ^(٣)، فَإِنَّمَا ^(٤) أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ ^(٥) وَاخْتِلَافُهُمْ ^(١) عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ^(٢) ".

^(١) هو أول من كُني بهذه الكنية، لأنه كان معه هرة قد ألفها وألفته فلمصاحبته إياه كني بها، وهو راوي حديث "دخلت امرأة النار في هرة.." فلعله أخذ بقياس العكس ورجاء الثواب في هذه.

^(٢) فاجتنبوه: أي ابتعدوا عنه، فكونوا في جانب وهو في جانب، اجتنبوه جملة واحدة، لا تفعلوا شيئاً منه، وهذا محمول على نهي التحريم.

^(٣) أن من عجز عن فعل المأمور به كله، وقدر على بعضه، فإنه يأتي بما أمكن منه. ولا بد أن يقوم بالواجب بقدر الاستطاعة وأن لا يتهاون مادام مستطيعاً.

فرع: إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما أتيتكم... ما استطعتم" لأن امتثال الأمر لا يحصل إلا بعمل، والعمل يتوقف وجوده على شروط وأسباب وبعضها قد لا يستطيع، فلذلك قيده بالاستطاعة كما قيد الله الأمر بالتقوى بالاستطاعة، وأما النهي فالمطلوب عدمه وذلك هو الأصل، فالمقصود استمرار عدم الأصلي، وذلك ممكن وليس فيه ما لا يستطيع. وهذا فيه نظر: فإن الداعي إلى فعل المعاصي قد يكون قوياً لا صير معه للعبد على الامتناع من فعل المعصية مع القدرة عليها، فيحتاج للكف عنها حينئذ إلى مجاهدة شديدة، وربما كانت أشق على النفوس من مجرد مجاهدة النفوس على فعل الطاعات، ولهذا يوجد كثيراً من يجتهد في فعل الطاعات ولا يقوى على ترك المحرمات.

وقد سئل عمر رضي الله عنه عن قوم يشتهون المعصية ولا يعملون بها؟ فقال: أولئك قوم امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم.

والتحقيق في هذا أن الله لا يكلف العباد من الأعمال ما لا طاقة لهم به وقد أسقط الله عنهم كثيراً من الأعمال بمجرد المشقة رخصة عليهم ورحمة لهم، وأما المناهي، فلم يعذر أحد بارتكابها بقوة الداعي والشهوات بل كلفهم تركها على كل حال، وأن ما أباح أن يتناولوا من المطاعم المحرمة عند الضرورة ما تبقى معه الحياة لا لأجل التلذذ والشهوة.

^(٤) أي: إن الذي أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، وهذا من باب الخبر، ويجوز أن يكون بمعنى: ما أهلك الذين من قبلكم إلا كثرة مسائلهم، وهذا من باب الحصر.

^(٥) أي: ما يسأل عنه، والسؤال على أقسام:

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: ٧٢٨٨]، وَمُسْلِمٌ^(٣) [رقم: ١٣٣٧].

١. سؤال الجاهل عن فرائض الدين فهذا واجب.
٢. السؤال عن التفقه في الدين لا للعمل وحده مثل القضاء والفتوى وهذا فرض كفاية.
٣. أن يسأل عن شيء لم يوجبه الله عليه ولا على غيره وعلى هذا حمل الحديث لأنه قد يكون السؤال ترتيب مشقة بسبب تكليف يحصل ولهذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم: "وسكت عن أشياء رحمة لكم فلا تسألوا عنها" حسنه الألباني.
- (١) وهو بالضم عطفًا على كثرة: أي أهلكهم كثرة مسائلهم وأهلكهم اختلافهم وهو أبلغ لأن الهلاك نشأ بمجرد الاختلاف، ويجوز بالكسر: أي وكثرة اختلافهم على أنبيائهم والأول أرجح.
- (٢) وذلك بالمعارضة والمخالفة، لأن كلمة (على) تفيد أن هناك معارضة للأنبياء.
- فرع: إذا وجدت الضرورة ارتفع التحريم، لا محرم مع الضرورة ولا واجب مع العجز.
- فرع: ما هي الضرورة إلى المحرم؟ هي أن لا يجد سوى هذا المحرم وأن تندفع به الضرورة.
- (٣) هذا الحديث بهذا اللفظ خرج مسلم وحده، وفي رواية له ذكر سبب هذا الحديث عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا"، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم" ثم قال: "ذروني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه" وهذا السائل هو الأقرع بن حابس.

الحديث العاشر

"إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً" (١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ" (٢) لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا (٣)، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ (٤) فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (٥) وَأَعْمَلُوا صَالِحًا ط، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا

(١) هذا الحديث هو أحد الأحاديث التي عليها قواعد الإسلام ومباني الأحكام، وما أعم نفعه ومما تضمنه بيان شأن حكم الدعاء وشرطه وموانعه و "الدعاء هو العبادة" لأن الداعي إنما يدعو عند انقطاع الآمال عما سواه، فهو حقيقة التوحيد والإخلاص ونعم السلاح.

(٢) كلمة "طيب" معنى: طاهر مفر عن النقائص، لا يعتريه الخبث بأي حال من الأحوال، لأن ضد الطيب هو الخبيث، ومعنى هذا أنه لا يلحقه جل وعلا شيء من العيب والنقص، والطيب من أسماء الله الحسنى.

(٣) فهو سبحانه وتعالى لا يقبل إلا الطيب من الأقوال، والأعمال وغيرها وكل رديء فهو مردود عند الله عز وجل، فلا يتقرب إليه بصدقة حرام، فالطيب من الأعمال: ما كان خالصاً لله موافقاً للشرعة، والطيب من الأموال: ما اكتسب من طريق حلال وأما ما اكتسب من طريق محرم فإنه خبيث.

فكما أن الله لا يقبل من المال إلا الطيب كذلك لا يقبل من العمل إلا الطيب الخالص من شائبة الرياء والعجب والسمعة ونحوها.

فرع: الصدقة بالمال الحرام تقع على وجهين:

١. أن يتصدق به الخائن أو الغاصب ونحوهما على نفسه فهذا هو المراد من هذه الأحاديث أنه لا يتقبل منه، لأنه ممنوع من التصرف فيه ولأن أكله يفسد القلب.

٢. من تصرفات الغاصب في المال المغصوب: أن يتصدق به على صاحبه إذا عجز عن رده إليه وإلى ورثته، فهذا أجازة الجمهور، وأما الشافعي أنها تُحفظ ولا يُتصدق بها حتى يظهر مستحقها.

فرع: لو أخذ السلطان أو بعض نوابه من بيت المال ما لا يستحقه فتصدق منه أو أعتق أو بنى به مسجداً أو غيره مما ينتفع به الناس فالمنقول عن ابن عمر أنه كالغاصب إذا تصدق بما غصبه، ولعل ابن عمر إنما أنكر عليهم أخذهم لأموال بيت المال لأنفسهم، ودعواهم أن ما فعلوه منها بعد ذلك فهو صدقة منهم، فإن هذا شبيه بالمغصوب، وعلى هذا يحمل إنكار من أنكر من العلماء على الملوك بنيان المساجد.

(٤) أي: سوى بينهم في الخطاب بوجوب أكل الحلال، وكذا أمتهم معهم، وفي العبادة أيضاً إلا ما قام الدليل على تخصيصهم به، لأن الجميع عباده ومأمورون بعبادته.

(٥) أي: الحلال.

الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ^(١) ثُمَّ ذَكَرَ ^(٢) الرَّجُلَ يَطِيلُ السَّفَرَ ^(٣) أَشْعَثَ ^(٤) أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبَّ! يَا رَبَّ! ^(٥) وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ^(٦)، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ ^(٧) بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ ^(٨)؟".

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: ١٠١٥].

- (١) معنى رزقناكم هنا: ملكناكم، وقد تكون في موضع آخر بمعنى نفعناكم، والرزق: ما يفتحه الله لنا من حلال أو حرام، والمعتزلة خصوه بالحلال، واللغة لا تقتضيه.
- (٢) هذا من كلام أبي هريرة رضي الله عنه، يعني ثم أي: بعد ما سبق ذكره استطرد النبي صلى الله عليه وسلم الكلام حتى ذكر الرجل.
- (٣) في الحج والجهاد وما أشبه ذلك من أسفار الطاعات.
- (٣) الأشعث هو المغبر الرأس بالتراب.
- (٥) أشار النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى آداب الدعاء والأسباب التي تقتضي إجابة الدعاء:
١. إطالة السفر، ٢. حصول التبذل في اللباس والهيئة، ٣. مد يديه إلى السماء، ٤. الإلحاح على الله بتكرير ذكر الربوبية.
- (٦) حرام لذاته ولكسبه.
- (٧) أي: الشبع، وأنه تغذى بالحرام الحاصل من فعل غيره.
- (٨) أي: استبعاداً لقبول إجابة الدعاء لمن هذه صفته وهذا حاله، ومعناه: أنه ليس أهلاً لإجابة دعائه، فلا يجره شعثه وغباره من إثم مطعمه ومشربه، لكن يجوز أن يستجيب الله له تفضلاً ولطفاً وكرماً، نعم من علامة الإجابة: اجتناب الحرام.

الحديث الحادي عشر

"دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطٍ ^(١) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِيحَانَتِهِ ^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ "دَعْ ^(٣) مَا يَرِيْبُكَ ^(٤) إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ ^(٥)".

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم: ٢٥٢٠]، وَالتَّسَائِيُّ [رقم: ٥٧١١]، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ^(٦).

^(١) السببط هو ابن البنت، وأمه فاطمة الزهراء، وابن الابن يسمى: حفيداً، وهو أفضل من أخيه الحسين، وكان أشبه وجهاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ومناقبه حمة، مات سنة ٥٠، وولد سنة ٣ للهجرة.

^(٢) هي الزهرة الطيبة الرائحة وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين فقال: "هما ريحانتي في الدنيا"، و"الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة" والحديثان صحيحان.

^(٣) أي: اترك.

^(٤) يريبك: بفتح أوله على الأفصح ويجوز ضمها، والريب: الشك، أي دع ما يلحقك به ريب وشك وقلق.

^(٥) معنى الحديث: اترك ما فيه شك من الأفعال إلى ما لا شك منها، وهذا الحديث أصل عظيم في الورع.

فرع: فيه دليل على أن المتقي ينبغي له أن لا يأكل المال الذي فيه شبهة وأن يعدل إلى ما لا ريب فيه من الطعام الذي يطمئن به القلب، وهذا ما لم يصل إلى حد الوسواس فإن وصل إلى حد الوسواس فلا يلتفت إليه، وعلامته كثرته: أن الإنسان إذا توضع لا يكاد يتوضأ إلا شك، وإذا صلى لا يكاد إلا شك، فهذا لا يلتفت إليه.

قاعدة: الشك بعد الفراغ من العبادة لا يلتفت إليه، لكن إذا تيقن فيعمل باليقين.

فرع: ها هنا أمر ينبغي أن يتفطن له، وهو أن التدقيق في التوقف عن الشبهات إنما يصلح لمن استقامت أحواله كلها، وتشابهت أعماله في التقوى والورع، فأما من يقع في انتهاك المحرمات الظاهرة، ثم يريد أن يتورع عن شيء من دقائق الشبهة، فإنه لا يحتمل له ذلك، بل ينكر عليه، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما لمن سأله عن دم البعوض من أهل العراق: يسألوني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين!.

^(٦) معنى قول الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح": أنه إن كان هذا الحديث جاء من طريق واحد فمعناه أن الحافظ شك هل بلغ هذا الطريق درجة الصحيح أو لازال في درجة الحسن، وإذا كان عن طريقين فمعنى ذلك: أن أحد الطريقين صحيح والآخر حسن.

الحديث الثاني عشر

"من حسن إسلام المرء^(١)"

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَنْ حُسِّنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ"^(٢).

^(١) هذا الحديث أصل عظيم من أصول الأدب، قال ابن أبي زيد إمام المالكية في زمانه: جماع آداب الخير وأزمته تتفرع من أربعة أحاديث: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"، وقوله صلى الله عليه وسلم: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"، وقول النبي صلى الله عليه وسلم للذي اختصر له في الوصية: "لا تغضب"، وقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

^(٢) يقال: عناه الأمر يعنيه: إذا تعلق عنايته به وكان من غرضه وإرادته، والذي يعني الإنسان من الأمور: ما يتعلق بضرورة حياته في معاشه مما يشبعه ويرويه ويستره ويعفه على جهة الدفع لا التلذذ وسلامته في معاده وذلك يسير بالنسبة إلى ما لا يعنيه، فإذا اقتصر الإنسان على ما يعنيه من الأمور سلم من شر عظيم، والسلامة خير كثير، فالسلامة من الشر من حسن الإسلام.

فرع: من اشتغل بما لا يعنيه فإن إسلامه ليس بذاك الحسن، وهذا يقع كثيراً لبعض الناس فتجده يتكلم في أشياء لا تعنيه، أو يأتي لإنسان يسأله عن أشياء لا تعنيه ويتدخل فيما لا يعنيه، وكل هذا يدل على ضعف الإسلام.

فرع: روي عن الحسن البصري قال: من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه.

فمعنى الحديث: أن ترك الإنسان ما لا يهتم به من أمر الدين والدنيا من الأقوال والأفعال ولا تتعلق به أموره وحاجاته من حسن إسلامه.

فرع: قد يرد إشكال وهو: هل ترك العبد ما لا يعنيه هو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

الجواب: لا، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يعني الإنسان كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى

الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤)

فرع: عبر بالإسلام، ولم يقل: من إحسان إيمان المرء، لأنه عمل ظاهر اختياري بخلافه وأتى بـ "من" الدالة على التبعية لأن ترك ما لا يعني ليس هو كل الإسلام، فإذا فعل ما يعنيه وترك ما لا يعنيه فقد كمل حسن إسلامه وأتى بالحسن، لأنه وصفه ليس ذاته، ولا شك أن الإقبال على ما يعنيه وتركه ما لا يعنيه مطلوب دون عكسها.

فرع: وقد جاءت الأحاديث بفضل من حسن إسلامه، وأنه تضاعف حسناته، وتكفر سيئاته، والظاهر أن كثرة المضاعفة تكون بحسب حسن الإسلام: ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أحسن أحدكم إسلامه، فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، وكل سيئة تكتب

حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم: ٢٣١٨] ، ابن ماجه [رقم: ٣٩٧٦].

بمثلها، حتى يلقي الله عز وجل " ، فالمضاعفة للحسنة بعشر أمثالها لا بد منه، والزيادة على ذلك تكون بحسب إحسان الإسلام، وإخلاص النية، والحاجة إلى ذلك العمل.

الحديث الثالث عشر

"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ ^(١) حَتَّى يُحِبَّ ^(٢) لِأَخِيهِ ^(٣) مَا يُحِبُّ ^(٤) لِنَفْسِهِ ^(٥)".

(١) أي: لا يتم إيمان أحدنا، فالنفي هنا للكمال والتمام، وليس نفياً لأصل الإيمان، فأصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة.

فرع: مرتكب الصغائر لا يزول عنه اسم الإيمان بالكلية بل هو مؤمن ناقص الإيمان، وأما مرتكب الكبائر يقال له مسلم ليس بمؤمن.

(٢) المراد بالحب: إرادة الخير والمنفعة، وأن المؤمن يريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير، وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد، فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير أو يساويه فيه، لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله وينفرد بها عنهم، والإيمان يقتضي خلاف ذلك، وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه منه شيء.

وفي الجملة فينبغي للمؤمن أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، فإن رأى في أخيه المسلم نقصاً في دينه اجتهد في إصلاحه.

وعليه فإن الحديث يدل على وجوب محبة المرء لأخيه ما يحب لنفسه، لأن نفي الإيمان عمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه يدل على وجوب ذلك، إذ لا ينفي الإيمان إلا لفوات واجب فيه أو وجود ما ينافيه.

(٣) يحمل ذلك على عموم الأخوة حتى يشمل الكافر والمسلم فيحب لأخيه الكافر ما يحب لنفسه من دخوله في الإسلام، كما يجب للمسلم دوامه على الإسلام، ولهذا كان الدعاء للكافر بالهداية مستحباً.

(٤) المقصود أنه يجب لأخيه الطاعات والأشياء المباحات.

(٥) أي: من خير ودفع شر ودفاع عن العرض وغير ذلك، وفي الحديث الذي رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه".

فرع: وأداء النصيحة من الأخ لإخوته أن يكونوا فوقه، وهذه منزلة عالية ودرجة رفيعة في النصح، وليس ذلك بواجب، وإنما المأمور به في الشرع أن يحب أن يكونوا مثله، ومع هذا فإذا فاقه أحد في فضيلة دينية اجتهد على

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: ١٣]، وَمُسْلِمٌ [رقم: ٤٥].

إلحاقه، وحرزن على تقصير نفسه وتخلفه عن لحاق السابقين لا حسداً لهم على ما آتاهم الله بل منافسة لهم وغبطة وحرناً على النفس بتقصيرها وتخلفها عن درجات السابقين.

فرع: قال ابن تيمية: إذا كره العبد ما أنعم الله على غيره فقد حسده، وإن لم يتمن الزوال.

الحديث الرابع عشر

" لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث "

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ ^(١) يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ ^(٢): الثَّيْبُ الزَّانِي ^(٣)، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ ^(٤)، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ ^(٥)".

(١) أي: لا يحل قتله.

(٢) دل ذلك على أن غير المسلم يحل دمه ما لم يكن معاهداً، أو مستأمناً، أو ذمياً، فإن كان كذلك فدمه معصوم.

المعاهد: هو من كان بيننا وبينه عهد، كما جرى بين النبي صلى الله عليه وسلم وقريش في الحديبية.

المستأمن: الذي قدم من دار حرب لكن دخل إلينا بأمان لبيع تجارته أو شراء أو عمل.

الذمي: هو الذي يسكن معنا ونحميه ونذب عنه وهذا الذي يعطي الجزية بدلاً عن حمايته وبقائه في بلادنا.

(٣) الثيب: هو المحصن، والمراد به من تزوج ووطئ في نكاح صحيح ثم زنى بعد ذلك، فإنه يرحم، وإن لم يكن متزوجاً في حالة الزنا كأن طلق؛ لاتصافه بالإحصان. ويدخل فيه الذكر والأنثى بشروطه.

فرع: هل اللواط مثل الزنا؟

عند الشافعية: نعم فيجلد غير المحصن ويغرب عام، والمحصن يرحم حتى الموت، ولكن الأصح أن الفاعل والمفعول به يجب قتلهما بكل حال لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "اقتلوا الفاعل والمفعول به" حديث صحيح، ولم يفصل النبي صلى الله عليه وسلم وهو قول مالك وأحمد.

(٤) المقصود به القصاص، أي أنه إذا قُتل إنساناً إنساناً عمداً قُتل به بشرط المكافأة فلا يُقتل المسلم بالكافر ولا الحر بالعبد.

فرع: يستثنى من عموم قوله تعالى: "النفس بالنفس" صور، منها: أن يُقتل الوالد ولده فالجمهور على أنه لا يُقتل به.

(٥) وهذا عام في كل مرتد عن الإسلام بأي ردة كانت فيجب قتله إن لم يرجع إلى الإسلام.

وقوله: "المفارق للجماعة": يدخل في هذا الوصف كل من خرج عن جماعة المسلمين وإن لم يكن مرتدّاً، كالخوارج وأهل البدع وأهل البغي فدمهم حلال بالإجماع، فكل من فارق الجماعة فقد بدل دينه، غير أن المرتد كله وغيره بعضه.

وقوله: "المفارق للجماعة": هذا عطف بيان، يعني أن التارك لدينه مفارق للجماعة خارج عنها.

فرع: الصائل ونحوه داخل في التارك للجماعة، فلا حاجة إلى استثنائه، أو يكون المراد لا يحل تعمد قتله إلا هؤلاء الثلاثة.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: ٦٨٧٨]، وَمُسْلِمٌ [رقم: ١٦٧٦].

فرع: ليس لأحد أن يقيم الحد إلا الإمام أو من ينبيه الإمام، قال العلماء: لا تجوز إقامة الحدود ولا التعزيرات إلا للإمام أو نائبه.

فرع: هل يستتاب قبل أن يُقتل؟

الصحيح أنها ترجع إلى اجتهاد الحاكم، فإن رأى من المصلحة استتابته استتابه، وإلا فلا.

الحديث الخامس عشر

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً"

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ^(١) فَلْيُقلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ^(٢)، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ^(٣)، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ^(١)".

(١) سمي باليوم الآخر، لأنه لا ليل بعده، ولا يسمى يوماً إلا ما عقبه ليل.

(٢) وفي رواية: "أو ليسكت".

قال الشافعي: معنى الحديث إذا أراد أن يتكلم فليفكر، فإن ظهر أنه لا ضرر عليه تكلم، وإن ظهر أن فيه ضرراً وشك فيه أمسك.

قال عمر بن الخطاب: من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثر ذنوبه، ومن كثر ذنوبه كانت النار أولى به.

قال عبيدالله بن أبي جعفر: إذا كان المرء يحدث في مجلس، فأعجبه الحديث، فليسكت، وإن كان ساكناً فأعجبه السكوت فليحدث، قال ابن رجب: وهذا حسن فإن من كان كذلك كان سكوته وحديثه بمخالفة هواه وإعجابه بنفسه، لأن كلامه وسكوته يكون لله عز وجل.

وإن الإكثار من الكلام الذي لا حاجة إليه يوجب قساوة القلب.

وقوله: "فليقل خيراً": الخير على نوعين:

١. خير في المقال نفسه: كذكر الله والتسبيح وقراءة القرآن..

٢. خير لغيره: كأن يقول قولاً ليس خيراً في نفسه ولكن من أجل إدخال السرور على جلسائه ما لم يكن إنمّا.

فرع: اختلف العلماء في أنه هل يكتب على الإنسان جميع ما يلفظ به وكان مباحاً، أو لا يكتب عليه إلا ما فيه جزاء من ثواب أو عقاب؟

إلى هذا القول -أي الثاني- ذهب ابن عباس وغيره، والظاهر القول الأول أنه يشمل المباح أيضاً للآية: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ

قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۖ﴾ (١٨).

(٣) الجار ذي القربى: هو القريب، المسلم، الملاصق.

الجار الجنب: الأجنبي، الكافر، البعيد.

الصاحب بالجنب: الزوجة، الرفيق في السفر، الرفيق الصالح.

فالجار الملاصق القريب المسلم له ثلاثة حقوق، والجار البعيد المسلم له حقان، وغير القريب المسلم له حق واحد.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: ٦٠١٨]، وَمُسْلِمٌ [رقم: ٤٧].

ففي الحديث وجوب إكرام الجار، وهذا الإكرام مطلق يرجع فيه إلى العرف في اعتبار الإكرام، إما بالضيافة أو بالزيارة..

فرع: هل الجار هو الملاصق أم المشارك في السوق أم المقابل؟ هذا يرجع فيه إلى العرف.

(١) الضيف: هو القادم على القوم النازل بهم.

وإكرام الضيف أن يسارع إلى البش في وجهه ويطيب الحديث له، وعماد أمر الضيافة إطعام الطعام.

فرع: اختلفوا هل الضيافة على الحاضر والبادي أم على البادي خاصة؟

مذهب الشافعي على الحاضر والبادي.

وقد أوجب الضيافة ليلة واحد الليث بن سعد، وحمله عامة الفقهاء على الأدب ومكارم الأخلاق لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته" قالوا: وما جائزته؟ قال: "يوم وليلة"، قال: "والضيافة ثلاثة أيام، وما كان بعد ذلك فهو صدقة". والجائزة: العطية والمنحة والصلة وذلك لا يكون إلا مع الاختيار وقل استعمالها في الواجب.

الحديث السادس عشر

" لا تغضب "

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْصِنِي ^(١). قَالَ: لَا تَغْضَبُ ^(٢)، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: لَا تَغْضَبُ .

^(١) الوصية: هي العهد إلى الشخص بأمر هام.

^(٢) حقيقة الغضب: فوران دم القلب وغليانه لإرادة الانتقام.

فرع: هل مراد الرسول صلى الله عليه وسلم لا تغضب أي لا يقع منك الغضب، أو المعنى لا تنفذ الغضب؟
معنى الحديث: الحذر من أسباب الغضب، وعدم التعرض للأمور الجالبة له، فأما نفس الغضب فطبع لا يمكن إزالته من الجلبة، ولكن يضبط نفسه عند وجود السبب حتى لا يغضب وإنما يجاهد نفسه.

فرع: الغضب جماع الشر، والاحتراز منه جماع الخير.

فرع: قيل لابن المبارك: اجمع لنا حسن الخلق في كلمة، قال: ترك الغضب.

وهذا الغضب الدنيوي، أما الديني فمطلوب، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يغضب إذا انتهكت الحرمات، لا يقوم لغضبه شيء حتى ينتصر للحق وإذا غضب أعرض وأشاح، وكان بين حاجبيه عرق يدره الغضب، وهذا مع كونه أحلم الناس وأكثرهم صفحاً واحتمالاً، وهذا نهاية الكمال: الغضب في موضعه والحلم في موضعه.

فرع: ما هو طب الغضب المذموم؟

١. الاستعاذة من الشيطان الرجيم.

٢. الوضوء.

٣. الانتقال من مكانه: إن كان قائماً فيجلس، وإن كان جالساً فيضطجع.

٤. السكوت.

٥. استحضار ما جاء في فضل كظم الغيظ.

فرع: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا غضب فليسكت" في رواية أحمد يدل على أن الغضبان مكلف في حال غضبه بالسكوت، فيكون حينئذ مؤاخذاً بالكلام.

قال معاوية رضي الله عنه: "ما غضبت على من أقدر عليه، وما غضب علي من أقدر عليه" والمراد: ما تعاطيت أسبابه ودفعته لأنه جبلي.

قد علم النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الرجل كثرة الغضب فخصه بهذه الوصية وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم الذي يملك نفسه عند الغضب.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: ٦١١٦].

ومنه يؤخذ أنه ينبغي للمفتي والمعلم أن يراعي حال المستفتي وحال المتعلم وأن يخاطبه بما يقتضيه حاله، وإن كان لو خاطب غيره فخاطبه بشيء آخر.

الحديث السابع عشر

"إن الله كتب الإحسان على كل شيء"

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ ^(١) الْإِحْسَانَ ^(٢) عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ^(٣)، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ ^(٤)، وَلْيُجِدْ ^(٥) أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ^(٦)، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ ^(٧)".

(١) كتب: معنى أوجب.

(٢) هو الإحكام والإكمال.

(٣) أي: كتب الإحسان إلى كل شيء أو في كل شيء.

وهذا الحديث يدل على وجوب الإحسان في كل شيء من الأعمال، لكن إحسان كل شيء بحسبه.

(٤) والمعنى: أحسنوا هيئة الذبح وهيئة القتل، وهذا يدل على وجوب الإسراع في إزهاق النفوس التي يباح إزهاقها على أسهل الوجوه.

وقد حكى ابن حزم الإجماع على وجوب الإحسان في الذبيحة.

فرع: وإنما ذكر القتلة والذبحة لألھما غاية الأذى في الحيوان، ولا يبقى بعدهما للإحسان وجه، فإذا كان الإحسان فيما هو العلة في الأذى، فكيف بغير ذلك؟

(٥) وحديثها يعني حكها حتى تكون قوية القطع ويحصل بها الذبح بسرعة.

(٦) هي السكين.

(٧) الإراحة بإحداذ السكين وتعجيل إمرارها وغير ذلك، ويستحب أن لا يحدها بحضرة الذبيحة، وأن لا يذبح واحدة بحضرة أخرى، ولا يجرها بل يسوقها إلى مذبحها، ولا يصرعها بغتة.

فرع: الإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب: إزهاق نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها وأرجاها من غير زيادة في التعذيب، فإنه إيلام لا حاجة إليه، وأسهل وجوه قتل الآدمي ضربه بالسيف على العنق، قال تعالى في حق

الكفار: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾.

فرع: ويدخل في ذلك: الإحسان إلى شخص تدله الطريق، وكذا إطعام الطعام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم من القتل والذبح مجرد أمثلة.

فرع: إذا أراد الإنسان أن يؤدب أهله أو ولده فليؤدب بإحسان ولا يؤدب بعنف.

فرع: القتل المباح يقع على وجهين: ١. القصاص، ٢. الكفر.

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: ١٩٥٥].

١. القصاص: فلا يجوز التمثيل فيه بالمقتص منه، بل يُقتل كما قتل، إلا إن قد مثل بالمقتول فيُفعل به كما فعل وهو قول مالك والشافعي وأحمد، وعن أحمد رواية: أنه يُفعل به كما فعل إلا أن يكون حرقه بالنار أو مثل به فيُقتل بالسيف للنهي عن المثلة وعن التحريق بالنار.

٢. أن يكون القتل للكفر، إما لكفر أصلي، أو ردة عن الإسلام، فأكثر العلماء على كراهة المثلة فيه أيضاً وأنه يُقتل بالسيف.

فرع: ما حكم التحريق بالنار؟

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "وإن النار لا يعذب بها إلا الله" رواه البخاري.

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه مر بقوم نصبوا دجاجة يرمونها، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لعن الله من فعل هذا" رواه البخاري.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه نهي أن يُتخذ شيء فيه الروح غرضاً" رواه مسلم.

الحديث الثامن عشر

"اتق الله حيثما كنت"

عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ^(١)، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ^(٣): "اتَّقِ اللَّهَ^(٤) حَيْثُمَا كُنْتَ^(٥)، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا^(٦)، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ^(١)".

(١) وهو أول من حيّا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام.

(٢) وهو أعلم الأمة بالحلال والحرام، توفي عن ثمان وثلاثين سنة أو أقل.

(٣) سبب هذا الحديث أن أبا ذر رضي الله عنه لما أسلم أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يلتحق بقومه عسى أن ينفعهم الله به، ولما رأى حرصه على المقام معه بمكة، وعلم النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يقدر على ذلك قال له: "اتق الله حيثما كنت..." الحديث.

(٤) أي: اتخذ وقاية من عذاب الله، أي اتقه في الخلوة كما تتقيه في الجلوة بحضرة الناس، والتقوى كلمة جامعة لفعل الواجبات وترك المنهيات.

(٥) أي: في أي مكان كنت.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: ليتق أحدكم أن تلعه قلوب المؤمنين وهو لا يشعر، يخلو بمعاصي الله، فيُلقي الله له البغض في قلوب المؤمنين.

قال سليمان التيمي: إن الرجل ليصيب الذنب في السر، فيصبح وعليه مذلته.

فرع: إن العبد ليذنب الذنب فيما بينه وبين الله ثم يجيء إلى إخوانه فيرون أثر ذلك عليه، وهذا من أعظم الأدلة على وجود الإله الحق المجازي بذرات الأعمال في الدنيا قبل الآخرة، ولا يضيع عنده عمل عامل ولا ينفع من قدرته حجاب ولا استتار، فالسعيد من أصلح بينه وبين الله، فإنه من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الخلق، ومن التمس محامد الناس بسخط الله عاد حامده من الناس ذاماً له.

(٦) أي: إذا فعلت سيئة فاستغفر الله تعالى منها وافعل حسنة تمحها.

فلما كان العبد مأموراً بالتقوى في السر والعلانية، مع أنه لا بد أن يقع منه أحياناً تفريط في التقوى، إما بترك بعض المأمورات أو بارتكاب بعض المحظورات، فأمره بأن يفعل ما يحو به هذه السيئة، وهو أن يتبعها بالحسنة.

فرع: هل المراد بالحسنة التي تتبع السيئة هي التوبة أو المراد العموم؟

جواب: العموم، وأن الحسنة تمحو السيئة وإن لم تكن توبة، ولا يشترط أن ينوي بهذه الحسنة أنه يحو السيئة التي فعل.

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم: ١٩٨٧] وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ: حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٢).

فرع: هل تكفرُ الأعمالُ الصالحةُ الكبائرَ والصغائرَ أم لا تكفر سوى الصغائر؟

الجواب: لا تكفر سوى الصغائر، وأن الكبائر لا تكفر بدون توبة، لأن التوبة فرض على العباد، وكذا تكفرها الحدود إذا أقيمت عليه.

فرع: مسألة تكفير الكبائر بالأعمال إن أريد أن الكبائر تمحى بمجرد الإتيان بالفرائض، وتقع الكبائر مكفرة بذلك كما تكفر الصغائر باجتنب الكبائر، فهذا باطل، وإن أريد أنه قد يوازن يوم القيامة بين الكبائر وبين بعض الأعمال، فتمحى الكبيرة بما يقابلها من العمل ويسقط العمل، فلا يبقى له ثواب، فهذا قد يقع. والصغائر تؤول إلى كبائر بالمداومة عليها والإصرار عليها.

^(١) الخلق الحسن: هو كف الأذى، وبذل الندى، والصبر على الأذى، والوجه الطلق.

ومعناه: عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، واعلم أن أثقل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن.

فرع: اشتمل هذا الحديث على أحكام ثلاثة: ١. حق الله: "اتق الله حيثما كنت"، ٢. حق المكلف: "وأتبع السيئة الحسنة تمحها"، ٣. حق العباد: "وخالق الناس بخلق حسن".

^(٢) والصحيح أنه حيث حسن وليس حسن صحيح لأنه قال بعدها: أن أثره لا يعرفه إلا من هذا الوجه.

الحديث التاسع عشر

" احفظ الله يحفظك "

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا ^(٢)، فَقَالَ: يَا غُلَامُ ^(٣)! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ^(٤)، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ^(٥)، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ ^(٦)، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ^(٧)، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ^(٨)، وَإِنْ

^(١) هو حبر الأمة وبجرها وترجمان القرآن، مناقبه سائرة، توفي النبي صلى الله عليه وسلم وقد ناهز الاحتلام يعني من الخامسة عشر إلى السادسة عشر أو أقل.

^(٢) فيه جواز الإرداف على الدابة.

^(٣) هو الصبي حين يفطم إلى سبع سنين.

قال ابن الجوزي: تدبرت هذا الحديث فأدهشني، وكدت أطيش، فوا أسفا من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه.

^(٤) أي: احفظ أوامره وامثلها واتته عن نواهي يحفظك في تقلباتك وفي دنياك وآخرتك.

حفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

١. حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله وبعد موته في ذريته.

٢. حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان.

^(٥) أي: تجد الله أمامك يدلك على كل خير ويقربك إليه ويهديك إليه ويدود عنك كل شر.

فرع: لِمَ خص الأمام دون باقي الجهات الست؟

الجواب: لأن الإنسان سائر ومسافر إلى الآخرة، والمسافر إنما يطلب أمامه لا غير، فالمعنى تجده حيثما توجهت وبممت وقصدت ديناً ودنياً.

^(٦) إذا سألت حاجة فلا تسأل إلا الله.

^(٧) أرشد إلى التوكل على مولاه وأن لا يتخذ رباً سواه ولا يتعلق بغيره في جميع أموره ما قل منها وما كثر.

^(٨) لما كان قد يطمع في بر من يحبه، ويخاف شر من يحذره، قطع الله اليأس من نفع الخلق وضرهم، وهذا هو الإيمان بالقدر والإيمان به واجب خيره وشره، وعلى هذا فإن نفع الخلق الذي يأتي للإنسان فهو من الله في الحقيقة لأنه هو الذي كتبه له.

اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك^(١)؛ رفعت الأقلام، وجفت الصحف^(٢)".
رواه الترمذي [رقم: ٢٥١٦] وقال: حديث حسن صحيح.

وفي رواية غير الترمذي^(٣): "أحفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء^(٤) يعرفك في الشدة^(٥)، وأعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك^(٦)، وأعلم أن النصر مع الصبر^(٧)، وأن الفرج مع الكرب^(١)، وأن مع العسر يسراً^(٢)".

(١) ولا حرج أن تحاول أن تدفع الضر عنك.

(٢) هو كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها والفراغ منها من أمد بعيد، فإن الكتاب إذا فرغ من كتابته، ورفعت الأقلام عنه، وطال عهده، فقد رفعت عنه الأقلام، وجفت الأقلام التي كتب بها من مدادها، وجفت الصحف التي كتب فيها بالمداد المكتوب به فيها، وهذا تأكيد لما تقدم أي لا يكون خلاف ما ذكرت لك بنسخ ولا تبديل.

(٣) رواه أحمد في مسنده والطبراني وعبد بن حميد وصححه الحاكم.

(٤) معرفة العبد لربه نوعان:

١. المعرفة العامة: هي معرفة الإقرار به، والتصديق، والإيمان وهي عامة للمؤمنين.

٢. المعرفة الخاصة: تقتضي ميل القلب إلى الله بالكلية، والانقطاع إليه، والأنس به، فإذا اتقى الله العبد وحفظ حدوده وراعى حقوقه في حال رخائه حصلت له المعرفة الخاصة بالله.

(٥) معرفة الله للعبد نوعان:

١. معرفة عامة: وهي علمه تعالى بعباده واطلاعه على ما أسروه وما أعلنوه.

٢. معرفة خاصة: وهي تقتضي محبته لعبده، وتقريبه إليه، وإجابته دعائه.

(٦) أي: ما وقع عليك فلن يمكن دفعه، وما لم يحصل لك فلا يمكن جلبه، ويحتمل أن المعنى، يعني: أن ما قدر الله عز وجل أن يصيبك فإنه لا يخطئك، بل لا بد أن يقع لأن الله قدره، وأن ما كتب الله أن يخطئك رفعه عنك فلن يصيبك أبداً.

وفي الشطر الأول فيه تسلية للعبد عند حصول المصيبة، والثاني تسلية في فوات المحبوب.

(٧) الصبر هنا يشمل الصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقداره المؤلمة.

وأما النصر فيشمل على النصر في الجهادين: جهاد العدو الظاهر، وجهاد العدو الباطن، فمن صبر فيهما نصر وظفر بعدوه، ومن لم يصبر فيهما وجزع قهر وصار أسيراً لعدوه أو قتيلاً له.

فرع: درجات المؤمن بالقضاء والقدر في المصائب:

١. الرضا بذلك وهذه درجة عالية رفيعة جدا.

٢. أن يصبر على البلاء وهذه أقل من الأولى.

فرع: ما الفرق ما بين الصبر والرضا؟

الصبر: هو كف النفس وحبسها عن السخط مع وجود الألم، وتمني زوال ذلك، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع.

الرضا: هو انشراح الصدر وسعته بالقضاء، وترك تمني زوال الألم وإن وجد الإحساس بالألم، لكن الرضا يخففه ما يياشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرضا فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية.

(١) هو شدة البلاء.

(٢) من لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب واليسر مع العسر: أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى، حصل للعبد اليأس من كشفه من جهة المخلوقين تعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل على الله، وهو من أعظم الأسباب

التي تُطلب بها الحوائج، فإن الله يكفي من توكل عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

وأيضاً، فإن المؤمن إذا استبطأ الفرج، وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة، فرجع إلى نفسه باللائمة، وقال لها: إنما أتيت من قبلك ولو كان فيك خير لأجبت.

وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه واعترافه له بأنه أهل لما نزل من البلاء، وأنه ليس أهلاً لإجابة الدعاء، فلذلك تسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء، وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله.

الحديث العشرون

"إذا لم تستح فاصنع ما شئت"

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى ^(١): إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ ^(٢)".

^(١) يشير إلى أن هذا مأثور عن الأنبياء المتقدمين وأن الناس تداولوه بينهم، وأن الحياء لم يزل ممدوحاً مستحسناً مأموراً به لم ينسخ في شرائع الأنبياء الأولين.

^(٢) هذا الحديث عليه مدار الإسلام، ووجهه: أن أفعال العبد إما أن يُستحي منها أم لا، فالأول يشمل الحرام والمكروه، وتركهما مشروع، والثاني يشمل ما في الأحكام الخمسة: الوجوب والندب والإباحة، وفعلهما مشروعين في الأولين، وشائع في الثالث.

فرع: الحياء: هو عبارة عن انفعال يحدث للإنسان عند فعل ما لا يحمله ولا يزينه، فينكسر ويحصل الحياء.

فرع: في قوله: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت" له معنيان:

١. إذا أردت فعل شيء وإن كان مما لا تستحي من فعله —من الله ولا من الناس— فافعله وإلا فلا، وهذا يكون أمر إباحة، لأن الفعل إن لم يكن منهياً عنه شرعاً كان مباحاً.

٢. أنك إذا كنت لا تستحي من الله تعالى ولا تراقبه فاعط نفسك منها وافعل ما تشاء، فيكون الأمر فيه للتهديد

والوعيد ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ^(٤٠)

فرع: الحياء نوعان:

١. فيما يتعلق بحق الله: فيجب أن تستحي من الله أن يراك حيث نهاك، وأن يفقدك حيث أمرك.

٢. فيما يتعلق بحق المخلوق: وهو أن تكف عن كل ما يخالف المروءة والأخلاق.

وهو على نوعين:

١. غريزي وطبيعي وجبلي.

٢. مكتسب: ويتولد الحياء من مطالعة نعمه تعالى، ورؤية التقصير في شكرها، فإذا سلب العبد الحياء المكتسب والغريزي لم يبق له ما يمنعه من ارتكاب القبيح والأخلاق الدنيئة فصار كأنه لا إيمان له.

فرع: الحياء يكون محموداً أو مذموماً:

فالحمود: هو الذي لا يوقع صاحبه في ترك واجب ولا فعل محرم.

والمذموم: إذا منع مما يجب أو أوقع في محرم.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: ٣٤٨٣].

الحديث الحادي والعشرون

"قل آمنت بالله ثم استقم"

عَنْ أَبِي عَمْرٍو وَقِيلَ: أَبِي عَمْرَةَ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ ^(١)؛ قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمَّ ^(٢)".

^(١) يعني: قولاً يكون حداً فاصلاً جامعاً مانعاً لمعاني الإسلام واضحاً في نفسه بحيث لا يحتاج إلى تفسير غيرك.

^(٢) وهذا الحديث من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، أي: استقم كما أمرت ونهيت، والاستقامة: ملازمة الطريق بفعل الواجبات وترك المنهيات.

فالاستقامة: هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم، من غير تعويج عنه يمنة ويسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها. وفي قوله: "قل آمنت": يشمل قول اللسان وقول القلب.

وقوله: "بالله": أي: أقررت به على حسب ما يجب علي من الإيمان بوحدانيته في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

وقوله: "استقم": أي: على طاعته وهو عمل الجوارح.

فرع: هذا الحديث مطابق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ فصلت: ٣٠، أي: لم يحددوا عن توحيدهم والتمسوا طاعته إلى أن توفوا عليه.

فرع: قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ هود: ١١٢، قال ابن عباس: ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية، فلذلك قال ما قال.

فرع: وفي قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْوْا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ فصلت: ٦، إشارة إلى أنه لا بد من تقصير في الاستقامة المأمور بها، فيجبر ذلك الاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع إلى الاستقامة.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس لن يستطيعوا الاستقامة، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سدّدوا وقاربوا" فالسداد: هو حقيقة الاستقامة، وهو الإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد، كالذي يرمي إلى غرض فيصيبه.

والمقاربة: أن يصيب ما قرب من الغرض إذا لم يصب الغرض نفسه، ولكن بشرط أن يكون مصمماً على قصد السداد وإصابة الغرض، فتكون مقاربتة عن غير قصد.

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: ٣٨].

فرع: التعبير بكلمة الاستقامة دون التعبير المشهور عند الناس الآن بكلمة الالتزام، فإن الناس اليوم إذا أرادوا أن يشنوا على شخص بالتمسك بالدين قالوا: فلان ملتزم، والصواب أن يقال: فلان مستقيم كما جاء في القرآن والسنة.

فرع: زاد الترمذي في هذا الحديث زيادة مهمة: "قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: هذا" حديث حسن صحيح.

الحديث الثاني والعشرون

"أُريت إذا صليت المكتوبات وصمت رمضان"

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "أَنَّ رَجُلًا^(١) سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ^(٢) إِذَا صَلَّيْتَ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتَ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتَ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتَ الْحَرَامَ^(٣)، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا^(٤)؛ أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ^(٥)".

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: ١٥].

(١) هذا الرجل السائل هو النعمان بن قوقل.

(٢) بمعنى أَخْبَرَنِي.

(٣) أي: اعتقده حلالاً وفعلته، واعتقده حراماً ولم أفعله.

فرع: وهذا الحديث يدل على جواز ترك التطوعات على الجملة، وأن من قام بالواجبات وانتهى عن المحرمات دخل الجنة ولكن:

١. من تركها ولم يعمل شيئاً فقد فوت على نفسه ربحاً عظيماً وثواباً جسيماً.

٢. ومن داوم على ترك شيء من السنن كان نقصاً في دينه وقدحاً في عدالته.

٣. ومن تركها تهاوناً ورغبة عنها كان ذلك فسقاً يستحق به الدم.

(٤) ومراد الأعرابي أنه لا يزيد على الصلاة المكتوبة والزكاة المفروضة وصيام رمضان وحج البيت شيئاً من التطوع، ليس مراده أنه لا يعمل بشيء من شرائع الإسلام وواجباته غير ذلك.

(٥) وهذا كله من ذكر السبب المقتضي الذي لا يعمل عليه إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه.

فرع: وإنما ترك النبي صلى الله عليه وسلم تنبيهه على السنن والفضائل تسهياً وتيسيراً لقرب عهده بالإسلام لئلا يكون الإكثار في ذلك تنفيراً له، إلى أن ينشر صدره بالفهم عنه والحرص على تحصيل المندوبات فيسهل عليه.

فرع: لَمْ يَذْكُرْ في هذا الحديث الزكاة مع العلم بأن الزكاة فرضت قبل الصوم؟

الجواب: لعل النبي صلى الله عليه وسلم علم من حال الرجل أنه ليس ذا مال، وعلم أنه إذا كان ذا مال فسوف يؤدي الزكاة لأنه قال: وحرمت الحرام، وأما الحج فلعل هذا الحديث قبل فرض الحج.

الحديث الثالث والعشرون

"الطهور شرط الإيمان"

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "الطُّهُورُ ^(١) شَطْرُ الْإِيمَانِ ^(٢)، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ ^(٣) الْمِيزَانَ ^(٤)، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ^(٥) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ^(٦) تَمْلَأَانِ - أَوْ ^(٧): تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ ^(٨)،

(١) المراد به هنا الفعل، فإذا فتحت الطاء فيكون: ما يتطهر به. والمراد به هنا الوضوء وهو التطهر بالماء من الأحداث.

(٢) المراد بالإيمان هنا الصلاة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾ البقرة: ١٤٣ والمراد: صلاتكم إلى بيت المقدس، فإذا كان المراد بالإيمان الصلاة، فالصلاة لا تقبل إلا بطهور فصار الطهور شرط الإيمان بهذا الاعتبار، فيقال بأن الوضوء نصف الصلاة.

ويحتمل أن يقال: خصال الإيمان من الأعمال والأقوال كلها تطهر القلب وتركه، وأما الطهارة بالماء، فهي تختص بتطهير الحسد وتنظيفه، فصارت خصال الإيمان قسمين: أحدهما: يطهر الظاهر، والآخر: يطهر الباطن، فهما نصفان بهذا الاعتبار.

(٣) الحمد لله يمتلئ الميزان بها، أي: الميزان الذي توزن به الأعمال، أي: لو كان الحمد جسمًا ملأ الميزان.

(٤) الميزان حسي: له كفتان وله لسان، توزن به الأعمال الصالحة والسيئة.

(٥) تنزيه الله عن النقائص.

(٦) وصف الحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم.

(٧) هنا شك من الراوي في الذي يملأ ما بين السماء والأرض هل هو الكلمتان أو إحداهما.

(٨) نور في القلب، ونور في الوجه، ونور في القبر، ونور في الحشر.

وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ^(١)، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ^(٢)، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ^(٣)، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو^(٤)، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ^(٥) فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُؤَبِّقُهَا^(٦)."

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: ٢٢٣].

(١) برهان: أي حجة ودليل على صحة وصدق إيمان صاحبها، لأن المنافق لا يفعلها عادة.

(٢) ذلك لأن الضياء فيه حرارة والصبر فيه حرارة ومرارة لما يلابسه من المشقة والمعاناة.

(٣) فمعناه ظاهر أي: تنتفع به إن تلوته وعملت به وإلا فهو حجة عليك.

(٤) أي: كل الناس يخرج مبكراً في الغدوة في الصباح، فالرواح يكون بعد الزوال والغدو قبله.

(٥) معنى يبيع نفسه أنه يكلفها بالعمل، لأنه إذا كلفها بالعمل أتعب النفس فباعها.

(٦) أي: منهم من يبيعها لله بطاعته فيعتقها من العذاب، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعها فيؤبقها ويهلكها.

الحديث الرابع والعشرون

"يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي"

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرُويهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ^(١)، أَنَّهُ قَالَ: "يَا عِبَادِي: إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ ^(٢) عَلَى نَفْسِي ^(٣)، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا ^(٤). يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ ^(٥) إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ^(٦)، فَاسْتَهْدُونِي ^(٧) أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ^(٨). يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ ^(٩). يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛

(١) هذا الحديث يسمى عند الحديثين بالحديث القدسي.

والحديث القدسي: هو كل ما رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل، والحديث القدسي معناه من عند الله ولفظه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) الظلم لغة: وضع الشيء في غير موضعه، شرعاً: التصرف في غير الملك أو في ملك الغير.

(٣) أي: منعت مع قدرتي عليه وتقدسست عنه.

(٤) أي: لا يظلم بعضكم بعضاً، والظلم نوعان: ١. ظلم النفس، وأعظمه الشرك، ٢. ظلم العبد غيره.

قال بعض العلماء في هذا الحديث: إنه لا يسوغ لأحد أن يسأل الله أن لا يحكم على خصمه إلا بالحق.

(٥) أي: تائه عن طريق الاستقامة.

(٦) أي: علمته ووفقته هداية إرشاد وتوفيق.

فرع: فإن قال قائل: هنا إشكال وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن كل مولود يولد على الفطرة، وهنا يقول: كلكم ضال؟

الجواب: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كل مولود يولد على الفطرة" لكن قال: "فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" وهنا يخاطب عز وجل المكلفين الذي قد تكون تغيرت فطرتهم إلى ما كان عليه آبائهم فهم ضالّ حتى يهديهم الله عز وجل.

(٧) أي: اطلبوا مني الهداية لا من غيري.

(٨) أي: أسألوني الطعام أطعمكم، وعليه فلا تلجأ في طلب الرزق إلا من الله، ويشمل سؤال الله عز وجل الطعام، ويشمل السعي في الرزق وابتغاء فضل الله عز وجل.

(٩) والحاصل من كل ذلك: التنبيه على فقر العبد، وعجزه عن طلب المنافع، ودفع المضار إلا بتيسيره.

فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ^(١). يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي^(٢). يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا^(٣). يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا^(٤). يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ^(٥)، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ^(٦)، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرُ^(٧). يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ^(٨)، ثُمَّ أُوفِّيْكُمْ بِهَا^(٩)؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ^(١٠)، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ^(١١)".

(١) أي: اطلبوا مغفرتي، إما بطلب المغفرة كأن يقول: اللهم اغفر لي، وإما بفعل ما تكون به المغفرة.

(٢) لأن الضر والنفع هو الله لكمال غناه عن عباده.

(٣) لأنهم إذا كانوا على أتقى قلب رجل واحد كانوا من أولياء الله، وأولياء عز وجل جنوده، وجنوده يتسع به ملكه فهذا لا يزيد من ملك الله شيئاً.

(٤) ووجه ذلك: أن الفاجر عدو لله فلا ينصر الله، ومع هذا لا ينقص من ملكه شيئاً لأن الله غني عنه.

وقد دلت الأدلة السمعية والعقلية على أن الله مستغن في ذاته على كل شيء، وأنه تعالى لا يتكثر بشيء من مخلوقاته، وأن محل التقوى والفجور هو القلب.

(٥) لأنه كلما كثر الجمع كان ذلك أقرب إلى الإجابة.

(٦) فيه تنبيه الخلق على أن يعظموا المسألة ويوسعوا الطلب.

(٧) هذا من باب المبالغة في عدم النقص، لأن كل واحد يعلم أنك لو أدخلت المحيط وهو الإبرة الكبيرة في البحر ثم أخرجتها فإنها لا تنقص البحر شيئاً ولا تغيره.

(٨) أي: أعدّها لكم وأضبطها لكم تماماً بالعد لا زيادة ولا نقصان.

(٩) أي: في الدنيا والآخرة، وقد يكون في الدنيا فقط أو في الآخرة فقط.

(١٠) فليحمد الله على أمرين: على توفيقه للعمل الصالح، وعلى ثواب الله له.

(١١) واللوم: أن يشعر الإنسان بقلبه بأن هذا فعل غير لائق وغير مناسب، وربما ينطق بذلك بلسانه.

والله أوضح الطريق وأعذر وأحذر وأندر، ولا حجة لأحد بعد الرسل.

فرع: فيه إشارة إلى أن الخير كله فضل من الله على عبده من غير استحقاق له، والشر كله من عند ابن آدم من اتباع

هو نفسة كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ النساء: ٧٩.

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: ٢٥٧٧].

فَاللَّهُ إِذَا أَرَادَ تَوْفِيقَ عَبْدٍ وَهْدَايَتَهُ، أَعَانَهُ وَوَفَّقَهُ لَطَاعَتِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ فَضلاً مِنْهُ وَرَحْمَةً، وَإِذَا أَرَادَ خِذْلَانِ عَبْدٍ وَكَلَّهِ إِلَى نَفْسِهِ، وَخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، فَأَغْوَاهُ الشَّيْطَانُ لَغْفَلَتِهِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، وَكَانَ أَمْرُهُ فَرْطاً، وَكَانَ ذَلِكَ عَدَلاً مِنْهُ، فَإِنَّ الْحُجَّةَ قَائِمَةً عَلَى الْعَبْدِ بِإِنْزَالِ الْكِتَابِ وَإِرْسَالِ الرَّسُولِ فَمَا بَقِيَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرِّسْلِ.

الحديث الخامس والعشرون

"ذهب أهل الدثور بالأجور"

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا، "أَنَّ نَاسًا ^(١) مِنْ أَصْحَابِ ^(٢) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ ^(٣) بِالْأَجُورِ ^(٤)؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ ^(٥)، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ ^(٦)، وَفِي بُضْعٍ ^(٧) أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ

(١) هؤلاء هم الفقراء.

(٢) جمع صحابي: وهو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مسلمًا ومات على الإسلام.

(٣) أي: المال الكثير.

(٤) وليس قصدهم بذلك الحسد، ولا الاعتراض على قدر الله، لكن قصدهم لعلهم يجدون أعمالاً يستطيعونها يقومون بها تقابل ما يفعله أهل الدثور، وظنوا أن لا صدقة إلا بالمال، وهم عاجزون عن ذلك، فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن جميع أنواع فعل المعروف والإحسان صدقة.

(٥) يحتمل كما قال القاضي تسميتها: صدقة، أن لها أجرًا كما للصدقة أجر وأن هذه الطاعات تماثل الصدقات في الأجور، وقيل: معناه: أنها صدقة على نفسه.

(٦) الأصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه فرض كفاية، لكن تارة تكون فرض عين على من قدر عليه ولم يوجد غيره، وتارة فرض كفاية، وتارة يكون مستحبًا وذلك في الأمر بالمعروف المستحب.

فرع: الأمر بالمعروف لا بد من شرطين:

١. أن يكون الأمر عالمًا بأن هذا معروف.

٢. أن يعلم أن هذا المأمور قد ترك المعروف.

النهي عن المنكر لا بد فيه من شروط:

١. أن يعلم أن هذا منكر بالدليل الشرعي.

٢. أن يعلم أن المخاطب قد وقع في المنكر.

٣. أن لا يزول المنكر إلى ما هو أعظم منه.

(٧) كناية عن الجماع، ويطلق على الجماع وعلى الفرج نفسه.

وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ^(١)."

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: ١٠٠٦].

ويؤجر على الجماع وإن كان لمجرد الشهوة، وإن لم ينو بذلك العبادة وقضاء حق الزوجة وطلب الولد الصالح وإعفاف النفس.

قال النووي: اعلم أن شهوة الجماع أحبها الأنبياء والصالحون، قالوا: لما فيها من المصالح الدينية والدنيوية، ومن غض البصر، وكسر الشهوة عن الزنا، وحصول النسل الذي تتم به عمارة الدنيا وتكثر به الأمة إلى يوم القيامة. قالوا: وسائر الشهوات يقسي تعاطيها القلب، إلا هذه فإنها ترقق القلب.

^(١) فيه جواز القياس وهو مذهب العلماء ولم يخالف إلا أهل الظاهر، وهذا النوع من القياس يسمى عند الأصوليين قياس العكس.

الحديث السادس والعشرون

"كل سلامي من الناس عليه صدقة"

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "كُلُّ سُلَامَى ^(١) مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ^(٢)، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ ^(٣) تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ^(٤)، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا ^(٥) أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ ^(٦) صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ^(٧) صَدَقَةٌ ^(٨)".

^(١) هو المفصل، وأصله عظام الكف والأصابع والأرجل، ثم استعمل في سائر عظام الجسد ومفاصله، والمراد: على كل عضو ومفصل صدقة. وهي ثلاثمائة وستون عضواً.

^(٢) معنى الحديث أن تركيب هذه العظام وسلامتها من أعظم نعم الله على عبده، فيحتاج كل عضو منها إلى صدقة يتصدق ابن آدم عنه ليكون ذلك شكراً لهذه النعمة.

فرع: الصدقة كما ورد أنها تدفع البلاء، فإذا تصدق عن أعضائه كان جديراً لدفع البلاء عنها.

^(٣) إن دوام نعمة الأعضاء نعمة أخرى توجب الشكر.

^(٤) العدل بين اثنين تحاكماً أو تخاصماً، سواء كان حاكماً أو مصلحاً.

^(٥) إذا كان لا يستطيع أن يركب تحمله أنت وتضعه على الرجل هذا صدقة.

^(٦) سواء طيبة في حق الله كالتسبيح والتكبير والتهليل، أو في حق الناس كحسن الخلق.. صدقة.

^(٧) أي: إزالته كالشوك المؤذي والحجر الذي يعثر به، ويحتمل أن يكون أراد بالأذى: أذى المظالم ونحوها وهو الأذى المعنوي.

^(٨) والحديث لم يحصر أفعال الصدقة فيما ذكره، وإنما ذكر منها أمثلة.

فرع: ومن نعمة الله أن هذه الصدقة عامة في كل القربات، فكل القربات صدقات، وهذا شيء ليس بصعب على الإنسان مادام كل قرينة صدقة فما أيسر أن يؤدي الإنسان ما يجب عليه.

فرع: وظاهر الحديث يدل على أن هذا الشكر بهذه الصدقة واجب على المسلم كل يوم ولكن الشكر على درجتين:

١. واجب: وهو أن يأتي بالواجبات، ويتجنب المحرمات فهذا لا بد منه.

٢. مستحب: وهو أن يعمل العبد بعد أداء الفرائض واجتناب المحارم بنوافل الطاعات.

والمراد بالصدقة في الحديث الصدقة المندوبة، وفي الصحيح: "ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى": أي:

عن هذه الصدقات كلها، وإنما كان كذلك لأن الصلاة عمل بجميع أعضاء الجسد، فإذا صلى فقد قام كل عضو بوظيفته التي عليه في الأصل الذي ذكره في الحديث قياماً وركوعاً وسجوداً.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: ٢٩٨٩]، وَمُسْلِمٌ [رقم: ١٠٠٩].

الحديث السابع والعشرون^(١)

"البر حسن الخلق"

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْبِرُّ ^(٢) حُسْنُ الْخُلُقِ ^(٣)، وَالْإِثْمُ ^(٤) مَا حَاكَ ^(٥) فِي صَدْرِكَ ^(٦)، وَكَرِهْتَ أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ^(٧)" رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: ٢٥٥٣].

(١) هو في الحقيقة حديثان، لكنهما تواردا على محل واحد.

(٢) كلمة تدل على كثرة الخير.

(٣) يعني أن حسن الخلق أعظم خصال البر كما قال: "الحج عرفة"، وحسن الخلق يكون مع الله بأن تتلقى أحكامه الشرعية بالرضا والتسليم وأن لا يكون في نفسك حرج ولا تضيق بها ذرعاً، وأما حسن الخلق مع الناس فقد سبق وهو بذل الندي، وكف الأذى، والصبر على الأذى، وطلاقة الوجه.

فرع: قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ إلى آخر سورة الفرقان، فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميعها علامة حسن الخلق، وفقد جميعها علامة سوء الخلق، ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بحفظ ما وجده وتحصيل ما فقده، ولا يظن ظان أن حسن الخلق عبارة عن لين الجانب وترك الفواحش والمعاصي فقط وأن من فعل ذلك فقد هذب خلقه بل حسن الخلق ما وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين في كتابه والتخلق بأخلاقهم، ومن حسن الخلق احتمال الأذى.

فرع: هل البر ينافي الغضب لله؟ يعني لو غضبت على إنسان وشدت عليه فهل ذلك ينافي البر وحسن الخلق؟

الجواب: إن ذلك لا ينافي حسن الخلق، بل هذا من حسن الخلق لأن المقصود به التربية والتوجيه.

(٤) الذنب.

(٥) أي: أثر وتردد واختلج ولم تطمئن له نفسه ويورث نفرة في القلب.

(٦) وإنما أحاله الشارع على هذا الإدراك القلبي لما علم من جودة فهمه وحسن قريحته وتنوير قلبه وأنه يدرك ذلك من نفسه.

(٧) لأنه محل ذم وعيب، فتجدك متردداً فيه وتكره أن يطلع الناس عليك.

وهذه الجملة إنما هي لمن كان قلبه صافياً سليماً والقلوب المنشرحة للإسلام، المنورة بالعلم، فهذا هو الذي يحوك في نفسه ما كان إثماً ويكره أن يطلع عليه الناس، فلا يصلح لغلظ الطبع قليل العلم وأهل الفجور والفسوق، فإذا سأل عن ذلك من قل فهمه فصلت له الأوامر والنواهي الشرعية.

ويدل هذا الحديث على أن الحق والباطل لا يلتبس أمرهما على المؤمن البصير بل يُعرف الحق بالنور الذي عليه، فيقبله قلبه، وينفر عن الباطل، فينكره ولا يعرفه.

قوله: "الناس": ينصرف إلى وجوه الناس وأمثالهم لا إلى رعاعهم.

فرع: يتحصل من هاتين علامتين الحياكة والكراهة قسمة رباعية:

١. أن الفعل يحيك في النفس ويكره اطلاع الناس عليه، فهذا إثم كالزنا والسرقة.

٢. أن الفعل لا يحيك في النفس ولا يكره اطلاع الناس عليه فهذا ليس بإثم كالعبادة والأكل والشرب ونحوه.

٣. أن الفعل يحيك في النفس ولا يكره اطلاع الناس عليه.

٤. أن الفعل لا يحيك في النفس ويكره اطلاع الناس عليه.

فهما -أي: الثالث والرابع- مترددان بين الإثم والبر من باب "وينهما مشتبهات".

فرع: الفعل الذي يكره اطلاع الناس عليه إما يكون بفعل جارحة أو قلب:

١. جارحة كالمحرمات فإثم.

٢. إن كان قلبياً:

أ. مستقل: بأن لا يتوقف الجزاء عليه على عمل كالكبر ونحوه فهو إثم.

ب. الهم بمحرم: فهو على ثلاث حالات:

١. إن لم يوجد تصميم فلا إثم للتجاوز عنه ويثاب عليه.

٢. إذا هم بمحرم ثم نفرت نفسه منه أثيب عليه لأنه تركها لله.

٣. إن صمم فهو آثم.

وكان الحديث يقتضي أن الخطرات والهمم الضعيفة بالحرام إثم، لكن خص عمومها بالتجاوز عنه جمعاً بين الأدلة، وحينئذ يقول في كل عزم على معصية بدنية: هذا العزم يحيك في النفس ويكره أن يطلع عليه الناس، وكلما كان كذلك فهو إثم، فهذا العزم إثم.

أما قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله تجاوز لأمتي ما وسوست به وحدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به" فمعنى الحديث: ما لم يتكلم به كلاماً مؤثراً في المفسدة، مثل أن يعزم على القذف فيقذف أما كلام لا أثر له فيها فوجوده كعدمه.

وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبُدٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: اسْتَفْتِ قَلْبَكَ^(١)، الْبِرُّ مَا أَطْمَأَنَّتَ^(٢) إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَأَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ^(٣)".

حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَيْنَاهُ فِي مُسْنَدِي الْإِمَامَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ [رقم: ٢٢٧/٤]، وَالْدَّارِمِيَّ [٢٤٦/٢] بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ^(٤).

(١) أي: اسأل، والاستفتاء طلب الإفتاء وهو بمعنى الخبر، لأن الإفتاء عن حكم شرعي فأحاله النبي صلى الله عليه وسلم على قلبه.

(٢) أي: سكنت.

(٣) أي: قد أعطيتك علامة الإثم فاعتبرها في اجتنابها، ولا تقلد من أفتاك في مقاربتة، وهذا من باب التأكيد، يعني حتى لو أفتاك وأفتاك، فلا ترجع إلى فتواهم مادام قلبك لم يطمئن ولم يستقر فلا تلتفت للفتوى. ومثاله: الهدية إذا جاءتك من شخص غالب ماله حرام، وترددت النفس في حلها، وأفتاك المفتي بحل الأكل، فإن الفتوى لا تزيل الشبهة.

(٤) الإمام أحمد لم يلترم الصحة في مسنده، وإنما أخرج ما لم يجمع الناس على تركه، و"مسنده" مع "مسند إسحاق" و"المسند لابن أبي شيبة" و"مصنفه" متقاربة في الكثرة والشهرة و"مسند البزار" و"أبي يعلى" متقاربان في التوسط و"مسند الحميدي" و"الدارمي" متقاربان في الاختصار.

وأما الدارمي فمسنده لطيف وغالبه الصحة.

الحديث الثامن والعشرون

"أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة"

عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعَرَبَاذِيِّ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: "وَعَظَنَا ^(١) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجَلَتْ ^(٢) مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ^(٣)، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَأَنَّهَُا مَوْعِظَةٌ مُودَّعٍ فَأَوْصِنَا ^(٤)، قَالَ: أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ^(٥)، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ^(٦) وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ ^(١)، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ^(٢)، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي ^(٣) وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ^(٤) الْمَهْدِيِّينَ ^(٥)، عَصُوا ^(٦) عَلَيْهَا بِالتَّوَّاجِدِ ^(٧)، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ^(٨)".

^(١) الوعظ هو التخويف، والتذكير بما يلين القلب، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخول أصحابه بالموعظة أحياناً. والموعظة مشروعة، ولكن ينبغي أن تكون في محلها، وأن لا يكثُر فيُمل، لأن الناس إذا ملوا ملوا الواعظ والموعظة، وتقاصرت همهم عن الحضور.

^(٢) خافت.

^(٣) بكت ودمعت.

^(٤) يدل على أنه كان قد أبلغ في تلك الموعظة ما لم يبلغ في غيرها، فلذلك فهموا أنها موعظة مودع، ويعنون بأوصنا: وصية جامعة كافية لمن تمسك بها وسعادة له في الدنيا والآخرة.

^(٥) طاعة الله بامتنال أمره واجتناب نهيه على علم وبصيرة.

^(٦) فهاتان الكلمتان: "أوصيكم...وطاعته" يجمعان سعادة الدنيا والآخرة.

والسمع والطاعة بأن تسمع إذا تكلم، وأن تطيع إذا أمر، وإنما خصها النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر بعد ذكر التقوى مع أن السمع والطاعة من تقوى الله لأهميتها ولعظم التمرد عليها، ولأن فيها سعادة الدنيا وبها تنتظم مصالح العباد في معاشهم.

قال الحسن البصري في الأمراء: هم يلون من أمورنا خمساً: الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود، والله لا يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله لما يُصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن -والله- طاعتهم لغيظ، وإن فرقتهم لكفر.

وظاهر الحديث وجوب السمع والطاعة لولي الأمر وإن كان يعصي الله إذا لم يأمر بمعصية، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اسمع وأطع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك" رواه مسلم، وضرب الظهر وأخذ المال بلا سبب شرعي معصية بلا شك، فلا يقول الإنسان لولي الأمر: أنا لا أطيعك حتى تطيع ربك، فهذا حرام، بل يجب أن يطيعه وإن لم يطع ربه.

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ [رقم: ٤٦٠٧]، وَالتِّرْمِذِيُّ [رقم: ٢٦٦] وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(١) وفي رواية: "عبد حبشي كأن رأسه زبيبة"، والعبد لا يكون والياً ولكن ضرب به المثل على التقدير وإن لم يكن، ويحتمل أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بفساد الأمر ووضعه في غير أهله حتى توضع الولاية في العبد، فإذا كانت فاسمعو وأطيعوا تغليبا لأهون الضررين وهو الصبر على ولاية من لا تجوز ولايته لئلا يفضي إلى فتنة عظيمة.

فرع: هل يلزم طاعة الأمير في كل شيء أو فيما يتعلق بالحكم؟

الجواب: الثاني، أي فيما يتعلق بالحكم ورعاية الناس، فلو قال لك الأمير مثلاً لا تأكل اليوم إلا وجبتين، أو ما أشبه ذلك فلم يجب عليك أن توافق إلا أنه يحرم عليك أن تنابذه، بمعنى أن تعصيه جهاراً لأن هذا يفسد الناس عليه.

فرع: وجوب طاعة الأمير وإن لم يكن السلطان، لقوله صلى الله عليه وسلم: "وإن تأمر عليكم" ومعلوم أن الأمة الإسلامية من قديم الزمان فيها خليفة وهو السلطان، وهناك أمراء للبلدان، وإذا وجبت طاعة الأمير فطاعة السلطان من باب أولى.

فرع: إذا أمر الناس عليهم أميراً في السفر فهل تلزمهم طاعته؟

الجواب: نعم تلزمهم طاعته لكن فيما يتعلق بأمور السفر لا في كل شيء، إلا أن الشيء الذي لا يتعلق بالسفر لا تجوز منابذته فيه لأنها تعتبر معصية.

(٢) هذا إخبار منه صلى الله عليه وسلم بما وقع في أمته بعده من كثرة الاختلاف في أصول الدين وفروعه وفي الأعمال والأقوال والاعتقادات.

(٣) أي: الزموا سنتي وهي الطريقة التي عليها النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) وإنما وصف الخلفاء بالراشدين لأنهم عرفوا الحق وقضوا به.

(٥) أن الله يهديهم للحق ولا يضلهم عنه.

فهم ثلاثة أقسام: الراشد: عرف الحق واتبعه، الغاوي: عرف الحق ولم يتبعه، الضال: لم يعرف الحق بالكلية.

(٦) هو بفتح العين، وضمها لحن.

(٧) هي أقصى الأضراس، هذا كناية عن شدة التمسك بها.

فرع: التمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم واجب في كل حال لكن يتأكد عند وجود الاختلاف.

فرع: للخلفاء سنة متبعة بقول النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا فما سنّه الخلفاء الراشدون اعتبر سنة للرسول صلى الله عليه وسلم بإقراره إياهم.

فرع: إذا كثرت الأحزاب في الأمة فلا تنتم إلى حزب فكل هذه الفرق اجعلها على اليسار وعليك بالأمام وهو ما أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي...".

(٨) قد مر شرحه في الحديث الخامس حديث عائشة رضي الله عنها.

الحديث التاسع والعشرون

"تعبد الله لا تشرك به شيئاً"

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ ^(١)، قَالَ: "لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ ^(٢)، وَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَى مَنْ يَسْرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ^(٣): تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَذُوكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ^(٤)؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ ^(٥)، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ^(٦)، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ^(١)، ثُمَّ تَلَا: "تَتَحَفَّى جُؤُبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ " حَتَّى بَلَغَ

^(١) فيه دلالة على حرص الصحابة على العلم، ولكن هل سؤلهم رضي الله عنهم لمجرد أن يعلموا بالحكم، أو لأجل أن يطبقوه؟

الجواب: لأجل أن يطبقوه، عكس ما يفعله الناس اليوم، حيث يسأل لمعرفة الحكم فقط، ثم هو بالخيار إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، وهذا غلط، بل اجعل غايتك من العلم العمل به دون الاطلاع على أقوال الناس.

^(٢) أي: والله عظيم، هذه هي الحياة أن تدخل الجنة وتبتعد عن النار.

^(٣) بمعنى: على من وفقه الله وهداه وشرح صدره وأعانه على ما وفقه إليه.

فرع: كيف الجمع بين هذا الحديث ونصوص أخرى دالة على أن الإنسان يدخل الجنة بعمله وبين قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لن يدخل أحد الجنة بعمله" قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته"؟
الجواب: معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لن يدخل أحد الجنة بعمله" أي: على أن ذلك من باب المعاوضة، فالباء في "بعمله" معاوضة وليست بآء سببية، فالمراد أن العمل بنفسه لا يستحق به أحد الجنة لولا أن الله عز وجل جعله بفضل الله ورحمته سببا لذلك، والعمل بنفسه من فضل الله ورحمته على عبده، فالجنة وأسبابها كل من فضل الله ورحمته.

^(٤) أبواب أي مسائل.

^(٥) فالجنة هي ما يستجن به العبد كالمجن وهو الترس الذي يقيه عند القتال من الضرب، فكذلك الصيام يقي صاحبه من المعاصي في الدنيا ومن النار يوم القيامة، والمراد بالصوم هنا غير رمضان لأنه تقدم، مراده الإكثار من الصوم.

^(٦) أراد بالصدقة هنا غير الزكاة، والخطيئة فيها شيء من الحرارة لأنه يعذب عليها الإنسان بالنار، والماء فيه شيء من البرودة، ولهذا شبه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بالماء يطفى النار.

"يَعْمَلُونَ" (٢)، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ (٣)، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ (١) ذَلِكَ كُلِّهِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ

(١) هذه معطوفة على قوله: "والصدقة" أي: وصلاة الرجل في جوف الليل تطفي الخطيئة، وجوف الليل وسطه، وقد قيل: إن جوف الليل إذا أطلق فالمراد به وسطه، وإن قيل: وصلاة الليل الآخر، فالمراد به وسط النصف الثاني، وهو السدس الخامس من أسداس الليل، وهو الوقت الذي ورد فيه التزول الإلهي.

(٢) يدخل فيه من ترك النوم بالليل لذكر الله ودعائه، فيدخل فيه من صلى بين العشاءين، ومن انتظر صلاة العشاء، فلم يقم حتى يصلحها لا سيما مع حاجته إلى النوم، ويدخل فيه من نام ثم قام من نومه بالليل للتهجد وهو أفضل أنواع التطوع بالصلاة مطلقاً وهو قول الجمهور.

(٣) جعل الأمر — وهي العبادة أو الأمر الذي سألت عنه — كالفحل من الإبل، وجعل رأس هذا الأمر الدين الذي بُعث به وهو الإسلام، وأما قوام الدين الذي يقوم به الدين كما تقوم الخيمة على عمودها فهي الصلاة، وذروة سنام البعير طرف سنامه وهو أعلى ما فيه وأرفعه وبالجهاد يعلو الإسلام فجعله ذروة سنام الأمر. فرع: الجهاد لا يقاومه شيء من الأعمال وإن كان نقل العلم أفضل.

فرع: وقوله: "الجهاد" يعني في سبيل الله: وهي أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

فرع: قال ابن هبيرة في "إجماع الأربعة": اختلفوا في أفضل الأعمال بعد الفرض، فقال الشافعي: الصلاة فرضاً ونفلاً، وقال أحمد: لا أعلم بعد الفرائض أفضل من الجهاد، ومذهب مالك وأبي حنيفة: أنه لا شيء بعد فرائض الأعيان من أعمال البر أفضل من العلم ثم الجهاد.

فرع: وقال ابن القيم رحمه الله:

هذه — تفضيل مداد العلماء على دم الشهداء، وعكسه — المسألة كثر فيها الجدل، واتسع المجال، وأدلى كل منهما بحجته، واستعلى بمرتبته.

والذي يفصل التراع ويعيد المسألة إلى مواقع الإجماع: الكلام في أنواع مراتب الكمال، وذكر الأفضل منهما، والنظر في أي هذين الأمرين أولى به وأقرب إليه؟

فهذه الأصول الثلاثة تبين الصواب، ويقع بها فصل الخطاب.

فأما مراتب الكمال فأربع: النبوة، والصدقية، والشهادة، والولاية.

وقد ذكرها الله سبحانه في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦١) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا

! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَنْكَ هَذَا^(٢). قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا تَتَكَلَّمُ بِهِ^(٣)؟ فَقَالَ: تَكَلَّمْتُ أُمُّكَ^(٤) وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ^(٥) - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ^(٦)؟! ".
رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم: ٢٦١٦] وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

فأعلى هذه المراتب النبوة والرسالة، يليها الصديقية، فالصديقون هم أئمة أتباع الرسل، ودرجتهم أعلى الدرجات بعد النبوة.

فإن جرى قلم العالم بالصديقية، وسال مداده بها، كان أفضل من دم الشهيد الذي لم يلحقه في رتبة الصديقية.

وإن سال دم الشهيد بالصديقية وقطر عليها كان أفضل من مداد العالم الذي قصر عنها.

فأفضلهما صديقتهما، فإن استويا في الصديقية استويا في المرتبة، والله اعلم.

والصديقية: هي كمال الإيمان بما جاء به الرسول علما وتصديقا وقيامًا، فهي راجعة إلى نفس العلم، فكل من كان أعلم بما جاء به الرسول، وأكمل تصديقا له: كان أتم صديقية. فالصديقية شجرة، أصولها العلم، وفروعها التصديق، وثمرتها العمل.

فهذه كلمات جامعة في مسألة العالم والشهيد، وأيهما أفضل؟! انتهى.

"مفتاح دار السعادة" باختصار (١/٢٩٧-٢٩٩).

(١) أي: رابطه وضابطه ومقصوده، أي ما تملك به كل هذا.

(٢) أي: أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بلسانه أبلغ في الزجر.

هذا يدل على أن كف اللسان وضبطه وحسبه هو أصل الخير كله، وأن من ملك لسانه فقد ملك أمره وأحكمه وضبطه.

(٣) فيه فائدة: أن الصحابة رضي الله عنهم لا ييقنون في نفوسهم إشكالاً ولا قلقاً، بل يسألون حتى ينكشف الأمر.

(٤) وفي رواية: "تكلتك أمك يا معاذ" أي فقدتك، ولم يقصد النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة الدعاء، بل جرى ذلك على عادة العرب في المخاطبات، والمقصود بها الحث والإغراء.

(٥) شك من الراوي.

(٦) أي ما يحصدون بألسنتهم من الأقوال، والمراد بحصائد الألسنة جزاء الكلام المحرم وعقوباته، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، فمن زرع خيراً من قول أو عمل حصد الكرامة، ومن زرع شراً من قول أو عمل حصد غداً الندامة.

الحديث الثلاثون

"إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها"^(١)

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَيْنِيِّ جُرْثُومِ بْنِ نَاشِبٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ ^(٢) فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا ^(٣)، وَحَدَّ حُدُودًا ^(٤) فَلَا تَعْتَدُوهَا ^(٥)، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا ^(٦)، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْهَثُوا عَنْهَا ^(٧)".

^(١) هذا حديث جامع بليغ موجز، تضمن قواعد الشريعة حُكْمًا وأدبًا، لأن الحكم الشرعي في الأمر إما مسكوت عنه أو متكلم به، وهو أمر أو نهي، فالأمر أن لا يضيع كالإيمان والإسلام وما وجب من خصائليها، والمحرم حقه أن لا يقاربه كالكفر والزنا والسرقه والقذف والسحر وغير ذلك.

^(٢) أي: أوجب والزم وحتم.

^(٣) لا تتركوها ولا تنهونوا فيها.

^(٤) الحد لغة: المنع، والمراد بالحدود هنا: الزواجر دون الوقوف عند النواهي، والأوامر بأن لا يتكرر مع ما قبلها بحدوده مقدرة يجب الوقوف عند تقدير الشرع لها، فالمراد بالحدود الواجبات والمحرمات.

^(٥) لا تجاوزوا ما حد لكم الشرع بمخالفة الأمور وارتكاب المحظور، مثال: من طلق على غير ما أمر الله به أو أذن فيه.

فالمراد: أن من لم يجاوز ما أذن له فيه إلى ما نُهي عنه، فقد حفظ حدود الله، ومن تعدى ذلك فقد تعدى حدود الله. وقد تطلق الحدود ويراد بها المحرمات، أو العقوبات المقدرة شرعاً.

^(٦) الانتهاك: الارتكاب والافتحام، أي فلا تفعلوها.

^(٧) وهذا كله على معنى الفرق بالخلق، ونفي الحرج عنهم، وإرادة التسهيل عليهم، وكان يترك العمل صلى الله عليه وسلم خوفاً أن يفرض عليهم.

فالمسكوت عنه هو ما لم يُذكر حكمه بتحليل ولا بإيجاب ولا بتحريم فيكون مغفواً عنه لا حرج على فاعله.

وقد تقدم شرح ما يقارب هذه العبارة في الحديث السابع: "إنما أهلك الذين من قبلكم...".

فرع: يدخل في هذا الحديث أن لا تبحث عن مسائل الغيب ولا تتعمق فيها، ولا تبحث في صفات الله عن كيفيتها، لأن هذا من التعمق.

فرع: فحديث أبي ثعلبة الخشني قسم فيه أحكام الله أربعة أقسام: فرائض، ومحارم، وحدود، ومسكوت عنه، وذلك بجمع أحكام الدين كلها.

حَدِيثٌ حَسَنٌ^(١)، رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ ["في سننه" ١٨٤/٤]، وَغَيْرُهُ.

^(١) حكم على إسناده أيضاً بالصحة ابن الصلاح وابن الملقن وابن السمعاني.

الحديث الحادي والثلاثون

"ازهد في الدنيا يحبك الله"

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ ^(١)؛ فَقَالَ: "ازْهَدْ" ^(٢) فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو مَاجَهَ [رقم: ٤١٠٢]، وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ حَسَنَةٍ.

(١) هذا الرجل طلب حاجتين عظيمتين: أولهما محبة الله، والثانية محبة الناس.

(٢) الزهد لغة: الإعراض عن الشيء لاستقلاله واحتقاره وارتفاع الهمة منه، وشرعاً: هو ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع: هو ترك ما يضر في الآخرة.

فرع: أقسام الزهد، قال إبراهيم بن أدهم: الزهد ثلاثة أصناف: ١. فرهد فرض: وهو الزهد في الحرام، ٢. وزهد فضل: وهو الزهد في الحلال، ٣. وزهد سلامة: وهو الزهد في الشبهات. والمراد من هذا الحديث القسم الثاني وطلب الزائد على الكفاية.

(٣) أي: لا تتطلع لما في أيديهم، وهذا يتضمن ترك سؤال الناس، أي أن لا تسأل الناس شيئاً.

فرع: وفي الحديث أن الإنسان لا حرج عليه أن يطلب محبة الناس، أي أن يحبوه.

فرع: ليس الزهد أنه لا يلبس الثياب الجميلة، ولا يركب السيارة الفخمة، ويتقشف ويأكل الخبز بلا إدام وما أشبه ذلك، ولكن يتمتع بما أنعم الله عليه، لأن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، وإذا تمتع بالملاذ على هذا الوجه صار نافعاً له في الآخرة، ولهذا لا تغتر بتقشف الرجل ولبسه رديء الثياب، فرب حية تحت القش، ولكن عليك بعمله وأحواله.

فرع: عن يونس بن ميسرة قال: ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن يكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تصب سواء، وأن يكون مادحك وذامك في الحق سواء.

الحديث الثاني والثلاثون

"لا ضرر ولا ضرار" ^(١)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ" ^(٢).

حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ [راجع رقم: ٢٣٤١]، وَالدَّارَقُطْنِيُّ [رقم: ٢٢٨/٤]، وَغَيْرُهُمَا مُسْتَدًّا. وَرَوَاهُ مَالِكٌ [٧٤٦/٢] فِي "المَوْطِئِ" عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا، فَأَسْقَطَ أَبُو سَعِيدٍ، وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا.

^(١) هذا الحديث أصل عظيم في أبواب كثيرة، ولا سيما في المعاملات: كالبيع والشراء والرهن والارتقان، وكذلك في الأنكحة يضار الرجل زوجته أو هي تضار زوجها، وكذلك في الوصايا يوصي الرجل وصية يضر بها الورثة.

^(٢) قوله: "لا ضرر ولا ضرار": أي في ديننا أو في شريعتنا، أو في سنتنا، وظاهر الحديث تحريمه مطلقاً قليله وكثيره.

واختلفوا هل بين اللفظين فرق أم لا؟

المشهور أن بينهما فرق:

ف قيل: إن الضرر هو الاسم، والضرار هو الفعل.

وقيل: الضرر: ابتداء الفعل، والضرار: الجزاء عليه.

وقيل: الضرر: أن يُدخِل على غيره ضرراً بما ينتفع هو به، والضرار: أن يُدخِل على غيره ضرراً بلا منفعة له به.

وقيل: الضرر: أن يضر به من لا يضره، والضرار: أن يضر بمن قد أضرَّ به على وجه غير جائز.

وقيل: الضرار: أي لا تضر من ضرك، وإذا سبك أحد فلا تسبه، وإن ضربك فلا تضربه، بل اطلب حقه منه عند

الحاكم من غير مسابة، وإذا تساب رجالان أو تقاذفا لم يحصل التقاص، بل كل واحد يأخذ حقه بالحاكم.

فرع: قاعدة: متى ثبت الضرر وجب رفعه، ومتى ثبت الإضرار وجب رفعه مع عقوبة قاصد الإضرار.

الحديث الثالث والثلاثون

"البينة على المدعي واليمين على من أنكر" (١)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَوْ يُعْطَى (٢) النَّاسُ (٣) بِدَعْوَاهُمْ (٤) لَادَّعَى رِجَالٌ (٥) أَمْوَالَ قَوْمٍ (٦) وَدِمَاءَهُمْ (٧)، لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي (٨)، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ (٩)".

حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ [في "السنن" ٢٥٢/١٠]، وَغَيْرُهُ هَكَذَا، وَبَعْضُهُ فِي "الصَّحِيحَيْنِ".

(١) هذا الحديث قاعدة كبيرة من قواعد الشريعة، وأصل من أصول الأحكام، وأعظم مرجع عند التنازع والخصام.

(٢) المعطي هو من له حق الإعطاء كالقاضي مثلاً والمصلح بين الناس.

(٣) تعم الرجل والمرأة.

(٤) أي بادعائهم الشيء، سواء كان إثباتاً أو نفيًا.

(٥) والمقصود بهم الذكور، وذكر الرجال لأن الدعوى في الرجال أغلب، وإلا فالنساء يدخلن في الادعاء.

والمراد بهم الذين لا يخافون الله، وليس بقيد لأنه أحياناً يخاف الله لكنه نسي أن هذا الأمر ليس له.

(٦) أي: بأن يقول هذا لي، أو ينكر أن عليه حق من فلان.

(٧) بأن يقول: هذا قتل أبي، أو يقول: هذا جرحني.

(٨) المدعي: هو من يطلب أمراً خفياً على خلاف الأصل والظاهر فهو الطالب، والبينة عليه يعني أنه يستحق بها ما ادعى، لأنها واجبة يؤخذ بها.

(٩) وهو المدعى عليه، وهو المطلوب منه، ومعنى قوله: "اليمين على من أنكر": أي: يبرأ بها، لأنها واجبة عليه يؤخذ بها على كل حال.

فرع: ذكر المال والدم على سبيل المثال، وإلا قد يدعي حقوقاً أخرى كالطلاق والنكاح والعق و غيرها.

فرع: البينة أنواع: ١. الشهادة، ٢. القرائن، ٣. الصكوك المختومة وغيرها من الأمور.

فرع: قد بين الشارع الحكمة في كونه لا يعطى بمجرد دعواه، لأنه لو أعطي بمجرد ادّعاء الدماء والأموال واستبيحت، ولا يمكن المدعى عليه أن يصون ماله ودمه، وأما المدعي فيمكن صيانتها بالبينة أيضاً، وجانب المدعي ضعيف لدعواه خلاف الأصل، وجانب المنكر قوي لموافقة الأصلي في البراءة، والبينة حجة قوية لبعدها عن التهمة، واليمين حجة ضعيفة لقرها منها، فجعل القوي في جانب الضعيف، والضعيف في جانب القوي، وهو جانب المنكر تعديلاً وهو توجيه حسن.

الحديث الرابع والثلاثون

"من رأى منكم منكراً فليغيره بيده"^(١)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ ^(٢) مُنْكَرًا ^(٣) فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ^(٤)، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ^(٥)، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ^(١)، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ ^(٢)".

^(١) هذا الحديث يصلح أن يكون نصف علم الشريعة، لأنه إما معروف يجب العمل به، أو منكر يجب النهي عنه.

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط عن الباقي وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر، وقد تعين أحياناً.

^(٢) المراد من علم وإن لم ير بعينه، فيشمل من رأى بعينه ومن سمع بأذنه ومن بلغه خبر ييقين وما أشبه ذلك.

^(٣) المنكر هو ما نهى الله عنه ورسوله.

فرع: لا بد أن يكون منكراً واضحاً يتفق عليه الجميع، أي المنكر و المنكر عليه، أو يكون مخالفة المنكر عليه مبنية على قول ضعيف لا وجه له، أما إذا من مسائل الاجتهاد فإنه لا ينكره.

فرع: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد ولي جميع الأمة إذا رأت منكراً أن تغيره، ولا تحتاج أن تقول: لا بد أن يكون عنده وظيفة، فإذا قال أحد: من الذي أمرك أو ولّاك؟ يقول له: النبي صلى الله عليه وسلم من رأى منكم.

^(٤) وهذا التغيير باليد ليس على إطلاقه، وإنما مع القدرة فإذا خاف في ذلك فتنة فلا يغير كأن يخاف على نفسه أو على أهله أو على قرنائه ممن يشاركونه في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالوجوب مشروط بالاستطاعة.

فرع: جهاد الأمراء باليد أن يزيل بيده ما فعلوه من المنكرات، مثل أن يريق خمورهم، أو يكسر آلات اللهو التي لهم، أو نحو ذلك، أو يبطل بيده ما أمروا به من الظلم إن كان له القدرة على ذلك وكل ذلك جائز، وليس هو من باب قتالهم، ولا من الخروج عليهم الذي ورد النهي عنه، فإن هذا أكثر ما يخشى منه أن يُقتل الأمر وحده، نعم إن خشي في الإقدام على الإنكار على الملوك أن يؤذي أهله أو جيرانه، لم ينبغ له التعرض لهم حينئذ لما فيه من تعدي الأذى إلى غيره، ومع هذا متى خاف منهم على نفسه السيف أو السوط أو الحبس أو القيد أو النفي أو أخذ المال أو نحو ذلك من الأذى، سقط أمرهم ونهيهم، وقد نص الأئمة على ذلك.

وقال ابن شبرمة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالجهاد، يجب على الواحد أن يصابر فيه الاثنين، ويحرم عليه الفرار منها، ولا يجب عليه مصابرة أكثر من ذلك.

^(٥) ويكون بالنصح والتوبيخ والزجر ويقاس عليه الكتابة.

فرع: يجب النهي على القادر باللسان وإن لم يسمع منه، قال العلماء: ولا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يقبل في ظنه، بل يجب عليه فعله فإن الذكرى تنفع المؤمنين فإنه عليه أن يأمر وينهى وليس عليه القبول.

فرع: ولا يشترط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون كامل الحال ممثلاً ما يأمر به مجتنباً ما ينهى عنه بل عليه الأمر وإن كان مرتكباً خلاف ذلك لأنه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها ويأمر غيره وينهاها فإذا أخذ بأحدهما لا يسقط عنه الآخر.

فرع: ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولاية كما سبق، بل ذلك ثابت لآحاد المسلمين، وإنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه، فإن كان من الأمور الظاهرة مثل الصلاة والصوم والزنا وشرب الخمر ونحو ذلك فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال وما يتعلق بالاجتهاد ولم يكن للعوام فيه مدخل فليس له إنكاره بل ذلك للعلماء، والعلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه أما المختلف فيه فلا إنكار فيه وإنما فيه تناصح، لأننا لو فتحنا هذا الأمر على مصراعيه لكان كل إنسان يرى شيئاً يعتقد منكرًا يذهب ويغيره وقد لا يكون منكرًا فتحصل الفوضى بين الناس.

(١) معناه فليكره بقلبه وليس ذلك بإزالة وتغيير لكنه هو الذي في وسعه، وأن يعزم على أنه متى قدر على إنكاره بلسانه أو يده فعل، ويقضي هذا أن غير المستطيع لا يجوز له التغيير بغير القلب، والأمر في الإنكار بالقلب يعني رفع الحرج لا رفع المستحب.

(٢) ليس المراد أن العاجز إذا أنكر بقلبه يكون إيكانه أضعف من إيمان غيره، وإنما المراد أن ذلك أدنى الإيمان، وذلك أن العمل ثمرة الإيمان والقلب أدناها، فإذا لم ينكر بقلبه المنكر، دل على ذهاب الإيمان من قلبه.

فرع: وفي هذا الحديث دليل على أن من خاف القتل أو الضرب سقط عنه التغيير وهو مذهب المحققين سلفاً وخلفاً وذهبت طائفة من الغلاة إلى أنه لا يسقط وإن خاف ذلك.

فرع: قال أحمد: إن خاف السب أو سماع الكلام السيء لم يسقط عنه الإنكار بذلك.

فرع: قال الماوردي: ليس له أن يقتحم ويتجسس إلا أن يخبره من يثق بقوله أن رجلاً خلا برجل ليقتله أو بامرأة ليزني بها فيجوز له في مثل هذا الحال أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذراً من فوات ما لا يستدركه.

فرع: ينبغي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون من ذلك برفق ليكون أقرب إلى تحصيل المقصود.

فرع: معنى قول الله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ : أي: إنكم إذا فعلتم ما كلفتم به لا يضرركم تقصير غيركم، فمما كلف به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإذا فعله ولم يتمثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك وإنما عليه الأمر والنهي لا القبول.

فرع: ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فإن الله قال: ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنِ يَنْصُرُهُ﴾.

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: ٤٩].

فرع: واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يحمل على رجاء ثوابه، وتارة خوف العقاب في تركه، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه وتارة النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لعقوبة الله وغضبه في الدنيا والآخرة، وتارة يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبته، وأنه أهل أن يطاع، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، وأنه يفتدي من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال، فمن لحظ هذه المقامات أو بعضها هان عليه كل ما يلقي من الأذى في الله تعالى، وربما دعى لمن آذاه كما فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم.

الحديث الخامس والثلاثون

"لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا"

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " لَا تَحَاسَدُوا ^(١)، وَلَا تَنَاجَشُوا ^(٢)، وَلَا تَبَاغَضُوا ^(٣)، وَلَا تَدَابَرُوا ^(٤)، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ^(٥)، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ^(٦)، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ^(٧)، لَا يَظْلِمُهُ ^(٨)، وَلَا يَخْذُلُهُ ^(٩)، وَلَا يَكْذِبُهُ ^(١٠)، وَلَا يَحْقِرُهُ ^(١١)،

- (١) الحسد: هو تمني زوال النعمة على الغير، أو كراهة ما أنعم الله به على الغير وإن لم يتمن الزوال، وهو من الكبائر. وأما الغبطة: فهي تمني حال المغبوط من غير أن يريد زوالها عنه وهذه محمودة.
- (٢) النجش في اللغة: الخداع والمكر، وهو أن يزيد في السلعة وهو لا يريد شراءها، لكن يريد الإضرار بالمشتري أو نفع البائع أو الأمرين معاً، وهو حرام، ويحتمل أن يفسر التناجش المنهي عنه في هذا الحديث بما هو أعم من ذلك، فإن أصل النجش في اللغة كما مر هو إثارة الشيء بالمكر والحيلة والمخادعة، فيكون المعنى لا تخادعوا ولا يعامل بعضكم بعضاً بالمكر والاحتيال.
- (٣) أي: لا تتعاطوا أسباب التباغض لأن الحب والبغض معان قلبية لا قدرة للإنسان على اكتسابها.
- (٤) والتدابير: هو المصارمة والمهجران، مأخوذ من أن يولي الرجل صاحبه دبره، ويعرض عنه بوجهه، وهو التقاطع والمقاطعة.
- (٥) والبيع على بيع أخيه صورته أن يبيع أخوه شيئاً فيأمر المشتري بالفسخ لبيعه مثله وأحسن منه بأقل من ثمن هذا، والشراء على الشراء حرام بأن يأمر البائع بالفسخ ليشتره منه بأعلى ثمن.
- (٦) هو شبيهه بالتعليل لما سلف، كأنه قال: إذا تركتم ذلك كنتم إخواناً، وإذا لم تكونوا كذلك كنتم أعداءً، واكتسبوا ما تصيرون به إخواناً.
- (٧) أي: مثل أخيه في الولاء والمحبة والنصح وغير ذلك.
- (٨) أي: لا ينقصه حقه بالعدوان عليه، أو جحد ما له.
- (٩) أي: لا يهضمه حقه في موضوع كان يجب أن ينتصر له، بل ينصره ويعينه ويدفع عنه الأذى ما استطاع.
- (١٠) أي: لا يخبره بالكذب القولي أو الفعلي.
- (١١) فلا يحكم علي نفسه بأنه خير من غيره، ولا يتكبر عليه ويستصغره.

التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ^(١)، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ^(٢)."

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: ٢٥٦٤].

(١) يعني: يكفيه من الشر احتقاره أخاه المسلم، فإنه إنما يحقر أخاه المسلم لتكبره عليه، والكبر من أعظم خصال الشر.

(٢) يعني: أنه لا يجوز انتهاك دم الإنسان ولا ماله ولا عرضه، كله حرام، وفيه دليل على تحريم الغيبة.

فرع: ما يرد على القلب أحياناً من محبة كون الإنسان أعلى من أخيه، فهل يدخل في الحسد؟

الجواب: لا، لأن الرجل لم يكره نعمة الله على هذا العبد، لكن أحب أن يفوقه، وهذا شيء طبيعي.

فرع: إذا وقع في قلبه حسد لشخص ولكنه يدافعه ولم يعتد على الشخص، فهل يؤاخذ به؟

الجواب: لا يؤاخذ، لكنه ليس في حال الكمال، لأن حال الكمال أن لا يحسد أحداً.

الحديث السادس والثلاثون

"من نفس عن مسلم كربة"^(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ نَفَسَ ^(٢) عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا ^(٣) نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ^(٤)، وَمَنْ يَسَّرَ ^(٥) عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ^(٦)، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ^(٧) سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ^(٨)، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ^(٩)، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ

^(١) هذا حديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة أو معنى ذلك.

^(٢) أي: وسَّع ويخفف عنه منها، والتفريج أعظم من ذلك وهو أن يزيل الكربة.

^(٣) وإن كانت من مسائل الدين، ويشمل كُرب المال، وكرب البدن، وكرب الحرب.

فرع: فيه دليل على استحباب خلاص الأسير من أيدي الكفار بمال يعطيه، وعلى تخليص المسلم من أيدي الظلمة، وخلصه من السجن.

^(٤) في الحديث سر مكنوم يظهر بطريق اللازم للملزم، وذلك أن فيه وعدًا بإخبار الصادق أن: من نفَّس الكربة عن المسلم يختم له بخير، ويموت على الإسلام، لأن الكافر لا يُرحم في دار الآخرة ولا ينفَّس عنه من كربه شيء، ففي الحديث إشارة إلى بشارة، تضمنتها العبارة الواردة عن صاحب الأمانة، فبهذا الوعد العظيم فليثق الواثقون ولمثل هذا فليعمل العاملون.

^(٥) أي: سهَّل.

^(٦) لماذا ذكر في التيسير أجر في الدنيا والآخرة، وفي الكرب ذكر الآخرة فقط؟

الجواب: لأن من نفس الكربة أزالها فقط، لكن الميسر على المعسر فيه زيادة عمل وهو التيسير، وفرق بين من يرفع الضرر ومن يحدث الخير.

^(٧) أي: أخفى وغطى، أي ستر مسلماً ارتكب ما يعاب، إما في المروءة والخلق، وإما في الدين والعمل.

^(٨) والستر عليه أن يستر زلاته، والمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفاً بالفساد وهذا في ستر وقعت وانقطعت أما إذا علم معصيته وهو متلبس بها فيجب المبادرة بالإنكار عليه ومنعه منها فإن عجز لزمه رفعها إلى ولي الأمر إن لم يترتب على ذلك مفسدة.

قال مالك: مَنْ لم يُعرف منه أذى للناس، وإنما كانت منه زلة، فلا بأس أن يُشفع له ما لم يبلغ الإمام، وأما من عُرف بشر أو فساد، فلا أحب أن يشفع له أحد، ولكن يترك حتى يقام عليه الحد.

بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ^(٢)، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ^(٣) يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيهَا بَيْنَهُمْ^(٤)؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ^(٥)، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ^(٦)، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ^(٧)، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ^(٨)."

رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم: ٢٦٩٩] بهذا اللفظ.

- (١) ويرويه العوام: "ما دام العبد في عون أخيه" وهذا غلط.
- (٢) والمراد بالعلم هنا علم الشريعة وما يسانده من علوم العربية والتاريخ وما أشبه ذلك.
- فرع: سلوك الطريق لالتماس العلم يدخل فيه سلوك الطريق الحقيقي: وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلماء، ويدخل فيه سلوك الطرق المعنوية المؤدية إلى حصول العلم، مثل: حفظه، ومدارسته، ومذاكرته، ومطالعة، وكتابته، والتفهم له، ونحو ذلك من الطرق المعنوية التي يتوصل بها إلى العلم.
- (٣) وفيه أن حصول هذا الثواب لا يكون إلا إذا اجتمعوا في بيت من بيوت الله لينالوا بذلك شرف المكان، لأن أفضل البقاع المساجد.
- (٤) والاجتماع يكون على ثلاث حالات:
 ١. أن يقرؤوا جميعاً بفم واحد وبصوت واحد على سبيل التعليم فلا بأس به، وإن كان على سبيل التعبد فبدعة.
 ٢. أن يجتمع قوم فيقرأ أحدهم وينصت الآخرون ثم يقرأ الثاني ثم الثالث وهلم جراً فلا بأس به.
 ٣. أن يجتمعوا وكل إنسان يقرأ لنفسه دون أن يستمع له الآخرون، فلا بأس به.
- (٥) طمأنينة القلب وانسراح الصدر.
- (٦) أي: غطتهم الرحمة.
- (٧) أي: أحاطت بهم إكراماً لهم.
- (٨) فيقدم العامل بالطاعة ولو كان عبداً حبشياً على غير العامل ولو كان شريفاً قرشياً، فينبغي للإنسان أن لا يغتر بنسبه وأن يهتم بعمله الصالح حتى ينال به الدرجات العلى.

الحديث السابع والثلاثون

"إن الله كتب الحسنات والسيئات"

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيَمَا يَرُوهُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ^(١) الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هُمْ^(٢) بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً^(٣)، وَإِنْ هُمْ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ^(٤)، وَإِنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً^(٥)، وَإِنْ هُمْ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً^(١)".

(١) أي: كتب وقوعها وكتب ثوابها.

(٢) الهم هنا ليس مجرد حديث النفس، لأن حديث النفس لا يكتب للإنسان ولا عليه، ولكن المراد عَزَمَ على أن يفعل ولكن تكاسل ولم يفعل، فيكتبها الله حسنة كاملة.

(٣) من هم بالحسنة فلم يعملها فهو على وجوه:

١. أن يسعى بأسبابها ولكن لم يدركها، فهذا يكتب له الأجر كاملاً.

٢. أن يهمل بالحسنة ويعزم عليها ولكن يتركها لحسنة أفضل منها، فهذا يثاب الحسنة العليا التي هي أكمل، ويثاب على همه الأول للحسنة الدنيا (اعتكاف الحرم النبوي والحرم المكي).

٣. أن يتركها تكاسلاً فهذا يثاب على الهم لا الفعل.

فرع: وإنما جعل الهم بالحسنة حسنة لأن إرادة الخير هو فعل القلب لعقد القلب على ذلك، فإن قيل: فكان يلزم على هذا القول أن يكتب لمن هم بالسيئة ولم يعملها سيئة لأن الهم بالشيء عمل من أعمال القلب أيضاً، قيل: ليس كما توهمت فإن من كف عن الشر فقد فسخ اعتقاده للسيئة باعتقاد آخر نوى به الخير وعصى هواه المريد للشر فجوزي على ذلك بحسنة، فأما إذا ترك السيئة مكرهاً على تركها أو عاجزاً عنها فلا تكتب له حسنة ولا يدخل في هذا الحديث.

(٤) والمعنى في ذكر السبعمئة أن العرب تنتهي في التكثير من عدد الآحاد إلى سبعة، فإذا ضربت السبعة في عشرة كانت سبعين ثم السبعون في عشرة: سبعمئة.

فرع: من رحمة الله بهذه الأمة لما قصر أعمارها ضاعف أعمالها، فمن هم بحسنة كتب ذلك الهم بحسنة، فإن عملها فقد ظهرت إلى ديوان العمل فضاعفها عشراً.

(٥) الهم بالسيئة له أحوال:

١. أن يهمل بالسيئة أي يعزم عليها بقلبه فيتركها لله، فهذا هو الذي يؤجر، فتكتب له حسنة كاملة.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: ٦٤٩١]، وَمُسْلِمٌ [رقم: ١٣١]، فِي "صَحِيحَيْهِمَا" بِهَذِهِ الْحُرُوفِ.

-
٢. أن يهمل بالسيئة ويعزم عليها لكن يعجز عنها بدون أن يسعى بأسبابها، فهذا يكتب عليه سيئة، لكن ليس كعامل السيئة، بل يكتب وزر نيته.
 ٣. أن يهمل بالسيئة ويسعى في الحصول عليها ولكن يعجز، فهذا يكتب عليه وزر السيئة كاملاً.
 ٤. أن يهمل الإنسان بالسيئة ثم يعزف عنها لا لله ولا للعجز، فهذا لا له ولا عليه.
- (١) إشارة إلى أنها غير مضاعفة، لكن السيئة تعظم أحياناً بشرف المكان أو الزمان أو الفاعل.
- فرع: من فعل محرماً مرة ثم عزم على فعله متى قدر عليه فهو مصرّ على المعصية ومعاقب على هذه النية، وإن لم يعد إلى عمله إلا بعد سنين.

الحديث الثامن والثلاثون

"من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب"^(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ"^(٢)، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ"^(٣)، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ"^(٤)، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا"^(٥)، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيدَنَّهُ"^(٦).

^(١) هذا الحديث أصل عظيم في السلوك إلى الجليل - جل جلاله - والوصول إلى معرفته ومحبته وطريقه، وقد قيل: إنه أشرف حديث في ذكر الأولياء.

^(٢) أي: أعلنت عليه الحرب، وذلك لمعاداته أولياء الله، حيث كان محاربا لي بمعاداته أوليائي.

فأولياء الله تحب موالاتهم وتحرم معاداتهم، كما أن أعداءه تحب معاداتهم وتحرم موالاتهم.

فرع: في هذا الحديث أن الله عز وجل قدم الإعذار إلى كل من عادى وليا له، فإنه بنفس المعادة للولي إيدان من الله بأنه محاربه، واتخاذ الولي عدواً لا يكون المعنى إلا أنه عاداه من أجل ولايته لله لا على الإطلاق لأنه إذا كانت الأحوال تقتضي نزاعاً بين وليين لله في محاكمة أو خصومة فإن هذا لا يتناول هذا القول.

فرع: والولي هو كما قال تعالى: ﴿إِلَّا إِنْكَارَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) فمن كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً. فمعادة أولياء الله من كبائر الذنوب.

^(٣) فيه دليل على أن الفريضة أفضل من النوافل.

^(٤) لما ذكر أن معادة أوليائه محاربة له ذكر بعد ذلك وصف أوليائه الذين تحرم معاداتهم وتحب موالاتهم، فذكر ما يقرب به إليه، فإن أصل الموالاتة: القرب، وأصل المعادة: البعد.

^(٥) المعنى أن الله يسدده في سمعه وبصره ويده ورجله، ويكون المعنى: أن يُوفَّقَ هذا الإنسان فيما يسمع ويصير ويمشي ويبطش، فهو لا يسمع ما لم يأذن الشرع له بسماعه ولا يبصر ما لم يأذن الشرع له في إبصاره.

فرع: متى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى، محاذ ذلك من القلب كل ما سواه، ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه، ولا إرادة إلا لما يريد من مولاه، فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره، ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله، وإن سمع سمع به، وإن نظر نظر به، وإن بطش بطش به.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: ٦٥٠٢].

وإنما تنشأ الذنوب من محبة ما يكرهه الله أو كراهة ما يحبه الله، وذلك ينشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله تعالى وخشيته، وذلك يقدح في كمال التوحيد الواجب، فيقع العبد بسبب ذلك في التفريط في بعض الواجبات، وارتكاب بعض المحظورات، فإن من تحقق قلبه بتوحيد الله، فلا يبقى له هم إلا في الله وفيما يرضيه.

(١) يعني: أن هذا المحبوب المقرب له عند الله منزلة خاصة تقتضي أنه إذا سأل الله شيئاً أعطاه إياه، وإذا استعاذ به من شيء أعاده منه، وإن دعاه أجابه، فيصير مجاب الدعوة لكرامته على الله تعالى.

الحديث التاسع والثلاثون

"إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان" ^(١)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي ^(٢) الْخَطَأَ ^(٣) وَالنَّسْيَانَ ^(٤) وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ ^(٥)".

حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ [رقم: ٢٠٤٥]، وَابْنُ أَبِي حَتِّيبٍ [السنن "٧" وغيرهما ^(٦)].

^(١) هذا الحديث عام النفع، وعظيم الوقع، وهو يصحح أن يسمى نصف الشريعة، لأن فعل الإنسان إما أن يصدر عن قصد واختيار -وهو العمد مع الذكر- أو لا -وهو الخطأ والنسيان والإكراه-.

^(٢) إن الله رفع لي عن أمتي الخطأ، أو ترك ذلك عنهم، واللام هنا للتعليل، أي تجاوز من أجلي عن أمتي الخطأ...

^(٣) هو أن يرتكب الإنسان العمل عن غير عمد، فيقصد بفعله شيئاً فيصادف فعله غير ما قصده.

^(٤) هو ذهول القلب عن شيء معلوم من قبل.

^(٥) الاستكراه: أن يُكرهه شخص على عمل محرم لا يستطيع دفعه.

معنى الحديث: أن الله تجاوز عنهم إثم الخطأ والنسيان وما استكروهوا عليه، وأما حكم الخطأ والنسيان والمكره عليه فغير مرفوع، فلو أُلِفَ شيئاً خطأً أو ضاعت منه وديعة نسياناً ضمن، ويستثنى من الإكراه الإكراه على الزنا والقتل فلا يباحان بالإكراه.

فرع: الإكراه على قسمين:

١. إكراه ملجئ: وهو الإكراه الذي لا اختيار له بالكلية ولا قدرة له على الامتناع، فهذا لا إثم عليه بالاتفاق.

٢. إكراه غير ملجئ: وهو من أكره بضرب أو غيره فهنا الأصح أنه لا إثم عليه.

وشروط الإكراه: أن يكون المكره قادراً على تنفيذ ما أكره به.

فرع: الواجبات تسقط بالجهل ما لم يكن تداركها في الوقت، والدليل حديث المسيء صلاته.

فرع: ينبغي للإنسان أن ينظر إلى الحوادث التي تقع نسياناً أو جهلاً أو إكراهاً نظرة حازم ونظر راحم.

فرع: قال السعدي في المسائل الخلافية: إذا كان الإنسان قد فعل وانتهى فلا تعامله بالأشد، بل انظر للأخف وعامله به، لأنه انتهى ولكن انه أن يفعل ذلك مرة أخرى، إذا كنت ترى أنه لا يفعل، والله الموفق.

^(٦) المراد ممن هو دونهما أو مثلهما لا يريد أن يدخل من هو أعلى منهما.

الحديث الأربعون

"كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"^(١)

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي^(٢)، وَقَالَ: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ"^(٣).

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ^(٤)، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ^(٥)، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ^(٦).

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم: ٦٤١٦].

(١) هذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، وهو شريف جامع لمعاني الخير.

(٢) أي: أمسك بكتفي من الأمام.

(٣) أي: لا تركز إليها، ولا تتخذها وطنًا، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها، ولا تتعلق فيها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله.

فرع: في هذا الحديث الحض على قلة المخالطة وقلة الاقتناء والزهد في الدنيا، قال أبو الحسن: بيان ذلك أن الغريب قليل الانبساط إلى الناس مستوحش منهم.

فالغريب: لم يتخذها سكنًا وقرارًا.

وعابر السبيل: لم يستقر فيها أبدًا، بل هو ماشٍ.

وعابر السبيل أكمل زهدًا من الغريب، لأن عابر السبيل ليس يجالس، والغريب يجلس لكنه غريب.

(٤) المعنى: اعمل العمل قبل أن تصبح ولا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، وهذا حض منه على أن يجعل الموت نصب عينيه، فيستعد بالعمل الصالح وحض منه على تقصير الأمل وترك الميل إلى غرور الدنيا، والمبادرة إلى العمل.

(٥) أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يغتتم أوقات الصحة بالعمل الصالح فيها، فإنه قد يعجز عن الصيام والقيام ونحوهما لعدة تحصل من المرض والكبر.

(٦) أمره النبي صلى الله عليه وسلم بتقديم الزاد ولا يفرط فيها حتى يدركه الموت.

فرع: قال ابن تيمية: ينبغي للإنسان أن يجعل المال كأنه حمار يركبه، أو كأنه بيت الخلاء يقضي فيه حاجته، فهذا هو الزهد وأكثر الناس اليوم يجعلون المال غاية فيركبهم المال، ويجعلونه مقصودًا فيفوتهم خير كثير.

الحديث الحادي والأربعون

"لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "لَا يُؤْمِنُ" ^(١) أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ ^(٢) تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ ^(٣)."

حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ "الْحُجَّةِ" ^(٤) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ ^(١).

^(١) يعني الإيمان الكامل.

^(٢) أي: اتجاهه وقصده.

والهوى ينقسم إلى قسمين:

١. محمود: وهو ما كان تبعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢. مذموم: هو ما خالف ذلك.

وعند الإطلاق يحمل على المذموم.

^(٣) أي: من هذه الشريعة المطهرة الكاملة، فلا يؤمن حتى يميل طبعه وقلبه إلى ذلك، كما يكون ذلك في محبوباته الدنيوية التي جبلت النفوس على الميل إليها، فإن من أحب شيئاً تبعه هواه ومال عن غيره إليه ووالاه.

فرع: معنى الحديث أن الشخص يجب عليه أن يعرض عمله على الكتاب والسنة، ويخالف هواه، ويتبع ما جاء به

صلى الله عليه وسلم، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ

الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ وكذا المراد منه: بذل النفس دونه صلى الله عليه وسلم.

فرع: وهذا الحديث وجيز ومختصر جامع لأفراد الشريعة، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام إنما جاء بشرائع الدين الكاملة، من الإيمان والإسلام والإحسان والنصح العام والخاص والاستقامة، فإذا كان هواه تبعاً لما جاء به الشارع من الدين أصوله وفروعه فهو المؤمن حقاً، والكافر المعرض عن ذلك إلى هواه، فهو الخاسر حقاً، فمن غلب عقله هواه فاز، ومن غلب هواه عقله فالبهائم خير منه.

فرع: في تحذير الإنسان من أن يحكم العقل أو العادة مقدماً إياها على ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

فرع: يجب على الإنسان أن يستدل أولاً ثم يحكم ثانياً، لا أن يحكم ثم يستدل فهذا يعني أنك جعلت المتبوع تابعاً وجعلت الأصل عقلك، والفرع الكتاب والسنة.

^(٤) هو كتاب الحجّة في اتباع الحجّة في عقيدة أهل السنة والجماعة لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ.

الحديث الثاني والأربعون

"يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني" ^(١)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "يَا ابْنَ آدَمَ" ^(٢)! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي ^(٣) وَرَجَوْتَنِي ^(٤) غَفَرْتُ ^(٥) لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ ^(٦) وَلَا أُبَالِي ^(٧)، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ ^(٨) السَّمَاءِ ^(٩) ثُمَّ

^(١) في هذا الحديث بشارة عظيمة عظيمة، وحلم وكرم وما لا يحصى من أنواع الفضل والإحسان والرفقة والرحمة والامتنان.

^(٢) يشمل الذكور والإناث.

^(٣) مدة دوام دعائك.

والدعاء ينقسم إلى قسمين: ١. دعاء عبادة، ٢. دعاء مسألة.

^(٤) لا بد من هذا التقييد، أي أن تكون داعياً لله وراجياً إجابته، وأما أن تدعو الله بقلب غافل لاه فأنت بعيد عن الإجابة.

^(٥) المغفرة: هي الستر، هي ستر الذنب والتجاوز عنه.

^(٦) أي: من تكرار معصيتك وتقصيرك.

^(٧) ولا يتعاضمني ذلك ولا أستكثره ولا أهتم.

^(٨) أي السحاب، أو أعلى السماء.

^(٩) أي: لو كانت أشخاصاً تملأ ما بين السماء والأرض.

اسْتَغْفَرْتَنِي ^(١) غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ ^(٢) الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَأُشْرِكَ بِبِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً ^(٣) ".

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم: ٣٥٤٠]، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

^(١) الاستغفار لا بد أن يكون مقروناً بالتوبة.

أركان التوبة: ١. الإقلاع عن المعصية، ٢. الندم على ما وقع منه: وهو انكسار الإنسان وخجله أمام الله، ٣. العزم على أن لا يعود، ٤. إن تعلق بآدمي فبأداء الحق إليه، أو التحلل منه، فإن كانت فيها كفارة توقفت على فعلها. فرع: الاستغفار: معناه طلب المغفرة.

١. وهو استغفار المذنبين، ٢. وقد يكون عن تقصير في أداء الشكر وهو استغفار الأولياء والصالحين، ٣. وقد لا يكون عند واحد منهما بل يكون شكرًا وهو استغفاره صلى الله عليه وسلم واستغفار الأنبياء.

^(٢) أي: بما يقارب مثل الأرض.

^(٣) فالإيمان شرط في غفران الذنوب التي هي دون الشرك سواء كان شركاً أصغر أو أكبر، لكن هذا مع مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء أخذه بذنبه.

فرع: من كثرت ذنوبه حتى فاتت العد والإحصاء، فليستغفر الله مما علم الله، فإن الله قد علم كل شيء وأحصاه. فهذا آخر ما ذكر الإمام النووي رحمه الله من الأحاديث في هذا الكتاب، ومن حسن تأليف الإمام رحمه الله أنه جعل هذا الحديث آخر الأحاديث التي اختارها المختوم بالمغفرة.

الحديث الثالث والأربعون

"ألقوا الفرائض بأهلها"

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا"^(١)، فَمَا أَبْقَتَ الْفَرَائِضُ فَلَأُولَى رَجُلٍ ذَكَرَ"^(٢).

رواه البخاري [رقم: ٦٧٣٢]، ومسلم [رقم: ١٦١٥].

(١) أصحاب الفرائض: من لهم نصيب مقدر شرعاً من الميراث.

والمراد: أعطوا الفرائض المقدرة لمن سماها الله لهم.

(٢) فما بقي بعد هذه الفروض فيستحقه أولى الرجال.

والمراد بالأولى الأقرب، فأقرب الرجال هو أقرب العصبات فيستحق الباقي بالتعصيب.

العصبة: هو الذي ليس له فرض بحال ويرد عليه الميراث بعد استيفاء أصحاب الفرائض فرائضهم.

والعصبة على الترتيب التالي: البنوة ثم الأبوة ثم الأخوة ثم العمومة.

فرع: فهذا الحديث مبين بكيفية قسمة الموارث المذكورة في كتاب الله بين أهلها، ومبين لقسمة ما فضل من المال عن تلك القسمة مما لم يصرح به في القرآن من أحوال أولئك الورثة وأقسامهم، ومبين أيضاً لكيفية توريث بقية العصبات الذين لم يصرح بتسميتهم في القرآن، فإذا ضم هذا الحديث إلى آيات القرآن انتظم ذلك كله معرفة قسمة الموارث بين جميع ذوي الفروض والعصبات.

فرع: أما قوله: "فلأولى رجل ذكر" فهذا للتأكيد لما قبله.

الحديث الرابع والأربعون

"الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة"

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الرَّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ"^(١).

رواه البخاري [رقم: ٢٦٤٦]، ومسلم [رقم: ١٤٤٤].

^(١) الولادة: المقصود به النسب.

فرع: التحريم المذكور هو بالنظر إلى المرضع أي أقارب المرضع، فإن أقارب المرضع هم الذين تصير لهم قرابة من المرضع، وأما أقارب المرضع فلا صلة لهم بذلك إلا أولاده.

فرع: الرضاع المحرم هو ما كان خمس رضعات مشبعات في زمن الرضاع قبل الفطاع.

فرع: المقصود بالرضعة: ما يقوم مقام الأكلة والوجبة لا التقام الصبي الثدي.

الحديث الخامس والأربعون

"إن الله ورسوله حرم بيع الخمر"

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْجَنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفْنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبَحُ بِهَا النَّاسُ؟" ^(١) فَقَالَ: لَا، هُوَ حَرَامٌ ^(٢)، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: قَاتِلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الشُّحُومَ، فَأَجْمَلُوهُ ^(٣)، ثُمَّ بَاعُوهُ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ ^(٤)."

رواه البخاري [رقم: ٢٢٣٦]، ومسلم [رقم: ١٥٨١] .

(١) الاستصباح، أي: جعله زيتاً لإنارة المصباح.

(٢) الحاصل أن ما حرم الله الانتفاع به، فإنه يحرم بيعه، وأكل ثمنه.

(٣) أي: أذابوها حتى صارت ودكاً وهو ذائب الشحم.

(٤) وهنا مسألة: إبطال الحيل، وهي الوسائل المفضية إلى محرم.

فمنهج المتقدمين استخدامهم اصطلاح الحيل يكون مقترناً بالاحتتيال والمكر ولهذا ذمه السلف.

وأما المتأخرون فهم قسموا الحيل إلى قسمين: ١. حيل مأذون بها، ٢. حيل منهي عنها.

الحديث السادس والأربعون

"كل مسكر حرام"

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْرَبَةٍ تُصْنَعُ بِهَا، فَقَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: الْبَتُّعُ وَالْمِزْرُ، فَقِيلَ لِأَبِي بُرْدَةَ: مَا الْبَتُّعُ؟ قَالَ: نَبِيذُ الْعَسَلِ، وَالْمِزْرُ نَبِيذُ الشَّعِيرِ، فَقَالَ: كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ^(١).

رواه البخاري [رقم: ٤٣٤٣]^(٢).

^(١) هذا الحديث أصل في تحريم تناول جميع المسكرات المغطية للعقل.

السكر: اسم لما غطى العقل، أي: ستره وغيبه حتى تكون حال صاحبه كحال فاقدته وهو المجنون، فإذا زال رجع عقله. وهناك من المسكرات ما يغيب ويزيل العقل مطلقاً.

فرع: المسكر المزيل للعقل نوعان:

١. ما كان في لذة وطرب فهذا هو الخمر المحرم شربه.

سواء كان هذا المسكر جامداً أو مائعاً، وسواء كان مطعوماً أو مشروباً، وسواء كان من حب أو تمر أو لبن أو غير ذلك، وأدخلوا في ذلك الحشيشة التي تعمل من ورق العنب وغيرها مما يؤكل لأجل لذته وسكره.

٢. ما يزيل العقل ويسكره لا للذة فيه، ولا طرب، كالبنج ونحوه، فهذا إن تناوله لحاجة التداوي به وكان الغالب منه السلامة جاز.

فرع: علة تحريم الخمر والميسر هو القمار، وهو أن الشيطان يوقع بينهم العداوة والبغضاء، فإن من سكر اختل عقله، فرمى تسلط على أذى الناس في أنفسهم وأموالهم، وربما بلغ إلى العقل، وهي أم الخبائث، فمن شربها قتل النفس وزنى وربما كفر.

^(٢) ومسلم واللفظ للبخاري.

الحديث السابع والأربعون

"ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن"^(١)

عَنْ الْمُقَدِّمِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسَبِ ابْنِ آدَمَ أَكَلَاتُ"^(٢) يُقْمَنَ صُلْبُهُ"^(٣)، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَتُلْتُ لِبَطْنِهِ، وَتُلْتُ لِشَرَابِهِ، وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ"^(٤).

- (١) هذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها.
- (٢) أو أَكَلَاتُ، وفي رواية: "لقيمات" وهي ضعيفة.
- (٣) الصلب: ما استقل من الظهر والمراد به هنا الجسد كله.
- (٤) قد روي أن الطبيب ابن ماسويه لما قرأ هذا الحديث في كتاب أبي خيثمة، قال: لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلّموا من الأمراض والأسقام، ولتعطّلت المارستانات ودكاكين الصيادلة.
- فرع:** قال الحارث بن كلدة طبيب العرب: الحمية رأس الدواء، والبطنة رأس الداء.
- فرع:** منافع قليل الغذاء بالنسبة إلى القلب وصلاحه، فإن قلة الغذاء توجب رقة القلب، وقوة الفهم، وانكسار النفس، وضعف الهوى والغضب، وكثرة الغذاء توجب ضد ذلك.
- فعن محمد بن واسع أنه قال: من قلّ طعامه فهم وأفهم وصفا ورقّ.
- فرع:** قال الإمام أحمد: ثلث الطعام هو القوت، وثلث الشراب هو القوى، وثلث النفس هو الروح.
- فرع:** الأكل له ثلاث أحوال:
١. أن يأكل شيئاً لا يسد رمقه، ولا يحفظ قوته وهذا منهي عنه، وهو على قسمين:
 - أ. إن كان يضعفه عن المأمور فالنهي للكرهية.
 - ب. إن كان يؤدي إلى ترك المأمور فالنهي للتحريم.
 فالإضراب محرم لأنه يمنع العبد من الواجبات.
 ٢. أن يأكل ما يسد رمقه ويحفظ قوته دون زيادة، فهذا مستحب وهو المذكور في الحديث.
 ٣. أن يأكل فوق ما يسد رمقه ويحفظ قوته وهو هذا على قسمين:
 - أ. أن يبلغ شبعاً لا يثقل به بدنه فثلث للطعام والشراب والنفس فهذا جائز.
 - ب. أن يبلغ شبعاً يثقل به بدنه فهذا منهي عنه وهو على قسمين:
 ١. إن لم يؤدي إلى ترك المأمور فهو مكروه.
 ٢. إن أدى إلى ترك المأمور فهو محرم.

رَوَاهُ أَحْمَدُ [رقم: ١٣٢/٤]، وَالتِّرْمِذِيُّ [رقم: ٢٣٨٠]، وَابْنُ مَاجَهَ [رقم: ٣٣٤٩]، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الحديث الثامن والأربعون

"أربع من كان فيه كان منافقا"

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا^(١)، وَإِنْ كَانَتْ خَصْلَةً مِنْهُنَّ فِيهِ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا^(٢): مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ^(٣)، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ^(٤)، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ^(٥)، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ^(١)".

(١) النفاق في اللغة: هو من جنس الخداع والمكر وإظهار الخير وإبطان خلافه، وهو في الشرع ينقسم إلى قسمين:

١. النفاق الأكبر: وهو أن يظهر الإنسان الإيمان ويطن ما يناقضه كله أو بعضه، فهذا الصنف نزل القرآن بدم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.

٢. النفاق الأصغر: وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويطن ما يخالف ذلك، وأصول هذا النفاق ترجع إلى الخصال المذكورة في هذا الحديث.

(٢) المتصفون بخصال النفاق على قسمين:

١. المتصف بخصلة منهن: ففيه خصلة من النفاق حتى يدعها، ومثله من جمع إليها أخرى لكن لم يشرب قلبه الخصال كلها.

٢. المتصف بهذه الخصال الأربع كلها، فمن كن فيه كان منافقا خالصا، والمراد به نفاق العمل، فهو مدرج يفضي إلى النفاق الاعتقادي.

(٣) أن يحدث بحديث لم يصدق به وهو كاذب فهو يظهر خلاف الواقع.

(٤) والخلف على نوعين:

١. أن يعد ومع نيته أن لا يوفي بوعده، وهذا أشد الخلق.

٢. أن يعد ومع نيته أن يفي ثم يبدو له فيخلف من غير عذر له في الخلف.

فرع: قال الأوزاعي: لو قال: أفعل كذا إن شاء الله تعالى ومع نيته أن لا يفعل، كان كذبا وخلفا.

(٥) أي: مال عن الحق عمداً واحتال في رده، بأن يصير الحق باطلاً والباطل حقاً.

الفجور في الخصومة يكون بأنواع شتى، فمن الفجور في الخصومة أن المخاصم إذا خاصم صاحبه أفضى سره وأذاعه بين الناس، ومن الفجور في الخصومة أنه يغتاب صاحبه ويقع فيه، ومن الفجور في الخصومة أنه ينسى أو يتناسى كل إحسان أسدى إليه صاحبه، ومن الفجور في الخصومة عدم إنصافه في الخصومة وإظهار نفسه مقام المعصوم الذي لا

رواه البخاري [رقم: ٣٤]، ومسلم^(٢) [رقم: ٥٨].

يخطئ أبداً، ومن الفجور في الخصومة الهمز واللمز في صاحبه، ومن الفجور في الخصومة الأنفة من الاعتراف بالخطأ والاعتذار، والخلاصة والأصل الذي يجمع الأمثلة على الفجور في الخصومة هو عدم الإخلاص في الصحبة أساساً.^(١) أي: إن نقضه ونكته.

وقد أمر الله عز وجل في كتابه بالوفاء بعهود المشركين إذا أقاموا على عهودهم ولم ينقضوا منها شيئاً، وأما عهود المسلمين فيما بينهم فالوفاء بها أشد، ونقضها أعظم إثماً، ومن أعظمها نقض عهد الإمام على من بايعه ورضي به. فرع: هناك خصلة خامسة ذكرت في روايات أخرى وهي: "وإذا اتّمن خان": أي: الخيانة في الأمانة. فرع: من أعظم خصال النفاق العملي أن يعمل الإنسان عملاً ويظهر أنه قصد به الخير، وإنما عمله ليتوصل به إلى غرض له شيء فيتم له ذلك.

^(٢) وفي رواية لمسلم: "وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم".

الحديث التاسع والأربعون

"لو أنكم توكلون على الله حق توكله"^(١)

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ^(٢) لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَعْدُو^(٤) خِمَاصًا^(٥) وَتَرُوحُ^(٦) بِطَانًا^(٧)".

رَوَاهُ أَحْمَدُ [رقم: ١٠ و ٥٢]، وَالتِّرْمِذِيُّ [رقم: ٢٣٤٤]، وَالنَّسَائِيُّ فِي "الْكُبْرَى" كَمَا فِي "التُّحْفَةِ": [رقم: ٧٩/٨]، وَابْنُ مَاجَةَ [رقم: ٤١٦٤]، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ (٧٣٠)، وَالْحَاكِمُ ٤١٨، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(١) هذا الحديث أصل في التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق.

(٢) حقيقة التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله وإظهار عجزه له في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها.

(٣) المأمور به في هذا الحديث هو حق التوكل على الله لا التوكل المجرد، والمراد بحق التوكل على الله: كماله، فممتي كمل التوكل صار في هذه المرتبة.

فرع: تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه وتعالى المقدورات بها وجرت سنته في خلقه بذلك.

(٤) تخرج بكرة أول النهار.

(٥) ضامرة البطون من الجوع.

(٦) تعود في آخر النهار إلى أوكارها.

(٧) شباعاً ممتلئة البطون.

فرع: قال الإمام أحمد: ليس في هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق، لأن الطير إذا غدت، فإنما تغدو لطلب الرزق، وإنما أراد -والله أعلم- لو توكلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم، ورأوا أن الخير بيده ومن عنده، لم ينصرفوا إلا سألين غائنين، كالطير تغدو خفاصاً وتروح بطاناً، لكنهم يعتمدون على قوتهم وجلدهم، ويغشون ويكذبون ولا ينصحون، وهذا خلاف التوكل.

فرع: ثمة التوكل الرضا بالقضاء، فمن وكل أموره إلى الله، ورضي بما يقضيه له ويختاره، فقد حقق التوكل.

الحديث الخمسون

"لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله عز وجل"

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ قَالَ: "أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا، فَبَابُ تَتَمَسَّكُ بِهِ جَامِعٌ؟ قَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(١)".

رواه أحمد [رقم: ١٨٨ و ١٩٠].

^(١) أي: رطباً بأن تكون مكثراً من ذكر الله تعالى.

ذكر الله شرعاً: هو إعظام الله وحضوره بالقلب واللسان أو أحدهما، لأن أصل مادة الذكر عند العرب إما لإعظام الشيء، أو لاستحضاره وإشهاده.

